

كتاب اهل لال



# سكة سفر

محمد عفيفي

سلسلة  
ثقافية  
شهرية



# كتاب الهلال

# كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير : مصطفى نبيل

سكرتير التحرير : عابد عياد

مركز الإدارة

دار الهلال ١٦ محمد مر العرب

تليفون ٦٢٥١٥٠ - ٦٢٥١٥٠

KTAB ALHILAL

العدد ٤٢٠ - ربيع الأول ١٤٠٦ - ديسمبر ١٩٨٥

No 420 December 1985

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي ١٢٠٠ ج.م. من جمهورية مصر العربية  
العربية تسعة جنيهات بالعملة العادية وفي بلاد المغرب العربي  
الفرنسي والبريطاني والباكستاني ثلاثة جنيهات دولاراً أو ما يعادلها  
بالعملة المحلية وفي سائر أنحاء العالم تسعون دولاراً بالعملة  
المحلية

والقيمة تسعة جنيهات بالعملة العادية في بلاد الهلال من  
ج.م. في بلاد أو محاولة بونيفيا غير مكتوبة وفي الخارج - بنسبة  
مضاعفة كما في دولته دار الهلال ونسبته رسوم البريد لتصل  
على الاسعار الموضحة أعلاه عند الطلب



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع



## الساخر العظيم

### بقلم : محمود السعدني

محمد عفيفي هو أعظم كاتب ساخر أنجبته مصر في العصر الحديث . ولكن محمد عفيفي - الأعظم والأقوى - ليس الأشهر . بالضرورة . وربما جاء - بالنسبة لشعب مصر - في ذيل قائمة الساخرين - والسبب أن سخريته ناعمة . وقلمه شديد العسلية وشديد التورية أيضا . فهو لا يجرح ولا يدمي . ولا يترك أثرا في نفس من يتعرض لسخريته . إلا الأثر الذي تتركه موجة خفيفة على شاطئه ساخر وجميل . وهو أقرب الكتاب الساخرين إلى مارك توين الأمريكي . وأوسكار وايلد البريطاني . ولذلك كانت سخريته من النوع الراقى الذي يرسم ابتسامة على الشفاه . وليس من النوع الذي ينتزع الضحكة من الأعماق . وإذا كان محمد عفيفي كتب في بلد مثل لندن أو باريس ، لاقيت له التعاتيل في الشوارع والمقاهي . كان مصيره الدفن في مقبرة العظماء على شاطئ نهر السين . فهو ساخر صاحب سخرية ناعمة فقط . ولكنه مثقف ثقافة واسعة . وخبير في كل أنواع الفنون . وسيستفيد قارئ محمد عفيفي دائما من إطلاعه الواسع على أسرار الفن التشكيلي . وتفصيل التاريخ المعاصر . والعلاقة بين أدب العرب وأدب الآخرين . أيضا لم يشتهر محمد عفيفي في مصر وفي العالم العربي إلا في محيط طبقة المثقفين . وهو وضع طبيعي في مجتمع يعاني من الأمية مجتمع أعظم مدارسها الفنية هي مدرسة يوسف وهبي . محطته



لا تنطلق الضحكات المججلة في جنباته إلا على أروقة المقاهي  
وفي غرذ الحشاشين ! ولم يكن يوسف وهبي زعيما للفن في مصر  
بالقوة الجبرية أو بقرمان صادر من الباب العالي في استنبول ،  
ولكن يوسف وهبي وصل الى هذه القمة وترجع عليها لأنه الوحيد  
بين الفنانين في زمانه الذي فهم نفسية شعبنا العربي ، وعرف  
خفاياها ، ووصل في اعماقها الى قرار سحيق . ولقد كانت موهبة  
عزيز عبد اضمخم ألف مرة من موهبة يوسف وهبي ، وكانت مواهب  
زكي طليمات اضمخم ألف مرة من مواهب يوسف وهبي . ولكن  
يوسف وهبي بموهبته الضئيلة استطاع أن يهزم عزيز عيد بموهبته  
الكبيرة ، واستطاع أن يأكل زكي طليمات بالرغم من مواهبه  
الضخمة . وعاش يوسف وهبي فناً لدى الجماهير حتى مات ،  
وعاش أكثر بعد الموت بينما مات عزيز عيد وزكي طليمات لحظة أن  
زارهما ملاك الموت ، وإن كان كل منهما يعيش داخل المعاهد  
الأكاديمية وفي ذاكرة المثقفين . وهذا هو الذي حدث للكاتب  
الساخر الكبير محمد عفيفي . عاش بعد موته عند نقاد الأدب  
الرفيع ، وعاشت سطورته في ذاكرة المتذوقين ، مع أنه كان أعظم  
من كتب الكلمة الساخرة في عصره . ومع ذلك لم يستطع أن يصل  
الى سطح الهرم الاجتماعي في تركيبة المجتمع العربي ، لم يصل  
الى الأغلبية ، ولم تكتشفه الأغلبية ، وهو سوء حظ محمد عفيفي .  
وسوء حظ أكبر للقراء على وجه العموم . ولكن عفيفي الساخر  
العظيم ، كان يتحمل جزءاً من هذه المسئولية . فلقد أثر محمد  
عفيفي المثقف أن ينزوي في برج العالي بعيداً عن مشكلات زمانه  
ومأسى أهله . وكان ينظر للحياة بعين مغمضة وعين نصف  
مفتوحة ! واعتمد اعتماداً كاملاً على موهبته العظيمة ، وعلى  
سخريته الناعمة الرقيقة . ولذلك أيضاً جاءت سخريته ، ناعمة  
كالحبر ، مع أنه لو استخدمها في الممارك لجاءت ناعمة كالتعبان ،  
تلدغ وتقتل ! ولكنه أثر أن يتفرج على زمانه ، وأن يلمس ولايجرح ،  
ويجرح ولايدمى . وموهبة محمد عفيفي في الكتابة ، كانت أشبه

بموهبة عبد المنعم أبراهيم في التمثيل موهبة عريضة مثل السمك  
البطي ، وناعمة ورقيقة مثل حرير اليابان ، ومتعددة الألوان مثل  
بسط الاعلانات ورغم ذلك ، فهو أقل الساخرين الكبار حظاً ، وأقلهم  
فرصة ، وأقلهم شهرة ! والسبب كما قلت من قبل ، هو غيب جمهور  
القراء في العالم العربي فنحن مارلنا أسرى مدرسة افترضت منذ  
قيامها أن المواطن حمار ومسطول وغائب عن وعيه ! ولذلك أيضاً  
عاش المنفلوطي كثيراً في وجدان الناس . عاش أيضاً يوسف وهبي  
لأن صوته كان أكثر الأصوات زعيقاً ، وكانت حنجرته أشد الحناجر  
صراخاً . لقد كان من رأى يوسف وهبي مثلاً ، أنه لايجب أن يموت  
الممثل على المسرح كما يموت الناس في الحياة ، بل يجب أن  
يموت على المسرح مرتين وثلاث مرات ، ومن هنا سنكرر كثيراً  
عبارة !

( أنت ذلك الوحش الزنيم ناهش الأعراض وخارب البيوت الذي لعن  
لسانه في دم شرفى تلك الليلة الظلماء الحالكة السواد ، جرائك  
لايكون إلا الموت ومصيرك الفناء ، خذ يا عدو الله ، خذ ، خذ ..  
عليك اللعنة ) ومع كل خذ طعنة خنجر ، بينما القتل يظل يصرخ  
بالصوت الحياني حتى بعد ! سدال الستار ، بل إنه سيظل يصرخ  
حتى بعد الموت ! ومن هنا سيضيع محمد عفيفي ، لأنه لا يملك هذه  
الموهبة الجعورية نسبة للجاعورة . لأن قلمه ناعم مثل موهبته ، وهو  
بذلك سيدخل الحلبة مجرداً من السلاح الذي فرضه يوسف وهبي  
والمنفلوطي وحتى شوقي وحافظ أبراهيم والشيخ عبد العزيز  
البشرى . وأصبح هذا الأسلوب الجعوري نفسه هو مزاج الناس !  
والسبب الآخر هو أن محمد عفيفي الساخر ابتعد عن مزاج القارئ  
العربي . واقترب من مزاج القارئ الخواجة . ولعل أعظم نموذج  
على فن الساخر محمد عفيفي هو كتابه سكة سفر . وهو مجموعة  
مقالات نشرها الساخر عفيفي عن سفريات قام بها مع أنه قليل  
الأسفار . اقرا السطور التي قدمها محمد عفيفي نفسه لكتابه  
( قضيت سنتين طويلة من حياتي أكره السفر واتحاشاه بكل



الطرق ، وحتى الاسكندرية نفسها ماكنت لاسافر اليها في الصيف  
لولا الحاج الاولاد علي . ولولا مايقعش في خيالي من خواطر  
صيفيحية ذات نكهة بيكينية خاصة ، فاننا من الناحية النفسية  
اشبه بالاشجار التي تحب ان تجلس طول حياتها في مكان واحد ،  
عمرك شفت شجرة ماشية ، ولعلني لولا ظروف السفر الى الرزق  
لقبضت في المنزل لا ابرحه ، ولربما تناولت الطعام في السوبركي  
لا اتجشم مشقة السفر الى حجرة العائدة - اللهم الا اذا فضلت ان  
انام في المطبخ ( وبعد ، هذا هو كتلي محمد عليكي سكة سفر -  
اقدمه اليكم ، ليس كاستاذ يقدم تلميذا ، ولكن علي طريقة مهرج  
يرتدي ملابس مضحكة ويقف علي باب السيرك يدق ناقوسا يدعو  
الجمهور الى الدخول للفرجة علي ألعاب السيرك وفنونهم ، ومهما كان  
حظ محمد عفيفي في الكتابة وفي الحياة ، صيقل اكثر الساحرين  
إحتراما ، وأعظمهم قدرا ، وأرفعهم مكانة وخصوصا لدى المتقدين  
وسيفضحك من الأعماق لفنه العظيم هؤلاء الذين يضحكون من  
الأعماق لاوسكار وايلد ومارك توين .

## سكة سفر

قضيت سنين طويلة من حياتي اكبر السفر وانحاشاه بكل الطرق  
، وحتى الاسكندرية نفسها ماكنت لاسافر اليها في الصيف لولا  
الحاج الاولاد علي . ولولا مايقعش اليها في خيالي من خواطر  
صيفيحية ذات نكهة بيكينية خاصة فاننا من الناحية النفسية اشبه  
بالاشجار التي تحب ان تجلس طول حياتها في مكان واحد ، عمرك  
شفت شجرة ماشية ، ولعلني لولا ضرورة السعي الى الرزق لقبضت  
في المنزل لا ابرحه ، ولربما تناولت الطعام في السوبركي لا اتجشم  
مشقة الى حجرة العائدة - اللهم الا اذا فضلت ان انام في  
المطبخ

لاشك انها صفة من رواسب تربيته من الطفولة ، اذ استاذن  
من اهلي في المنزل لكي ألعب في الشارع فيقولون لي بس  
ماتروحي بعيد ، فلعلي عصيتهم ذات يوم ورحت بعيدا فرقعوني  
عققة ، او ضللت الطريق في ذات رحلة طفولية ومارست خفة  
الشتر ، او أي حادث آخر مما يقع للعيال ، هذا ان لم تكن فكرة  
السفر مموما ترمز في أعماقي الى شيء غير السفر ، شيء  
لا أخلاقي او لا تقليدي او لا قانوني او أي شيء آخر قبله لا ،  
فلذا ملتصادات ان عرض علي الأصدقاء رحلة ما فإني ابدا  
منها بالرفض اليات ، ومع الحاج استاذتهم في مهلة للتفكير ، حتى  
ولو كان السفر الى الفيوم ، اليها دعائي اصدقائي المراهقين ذات  
يوم واستاذتهم في تلك المهلة ، وفي خلال مهلة اخرجت اطلس

نجحت أزماعها في مقاومة البكاء مع الارتقاء على الأرض والتفويض  
كالعيال .

للمل هذه الحكاية تعطيك فكرة عامة عن موقفى من السفر  
والرحلات . ذلك الموقف الذى عاشته كذا أسلفت معظم سنوات  
حياتى .

ولعلك تعجب بعد هذا من كتاب أسوقه لك بعنوان سكة سفر .  
وأحدثك فيه عن الأقصر وأسوان والبحر الأحمر . فإذا أنت عجيبت  
فأنا أشد منك عجباً . ولكنك تعرف النفس البشرية وكم هي  
عاسية . إذ فوجئت ذات يوم يلبنى أريد أن أسافر . فجأة ومن  
تلقاه نفسها زالت عنى تلك الفرعة الشجرية الثابتة . وحلت محلها  
نزعاً عصفورية مناقضة تقول لى طير يا واد ! ماذا حدث لى نفسى  
لا أدري ولكنه حدث . الشجرة العتيقة تحولت الى عصفور وانتهى  
الامر . وهكذا أمكن أن أقدم لك هذا الكتاب الذى أقول لك لى  
بدايته . فدامك سكة سفر !

لكى اتعرف على موقع القيوم بالضبط . كنت أتمنى أن أجدها بعيدة  
فوجدتها للأسف قريبة كعب . وجلست أقدم وناد الفكر بحثاً عن  
حجة أخرى لتعلل بها للاعتذار عن السفر . سيارتى للأسف - وهم  
يعرفون ذلك - قد خرجت لنوها من الورشة وصارت كالجديدة لنج .  
وبالطبع لا يمكننى أن ادعى الحاجة الى ثمن البنزين . واليوم عطلة  
وليس ثمة عمل يربطنى بالقاهرة . والعيال صحتهم يعب ومن الظلم  
أن ألق لأحد منهم مرضاً مفاجئاً . فتنهدت لى استسلام وقلت  
أسافر ولكن بشرط . قالوا اشروط . فقلت لا أمكث طول النهار بل  
أعود ظهراً فى موعد الغداء . لماذا ؟ لأن بعض الأقارب قد قالوا  
أنهم سيحضرون ليتغذوا عندى . وليس من الذوق بالطبع أن أترك  
الضيوف يتكلمون بدولى .

الى القيوم ذهبنا وما حمل القعدة على شاطئ بحيرة قارون .  
لكننى ساعة الغداء نهضت مستأذناً وسط عاصفة من الاحتجاج .  
شئ لى داخل يقول لى اننى قد غامرت بالسفر يجب أن يكون  
سفرنا قصيراً . ويجب أن أقطع متعنى مع الاصدقاء على سبيل  
التعويض عن تلك المفارقة . إذا لم أفعل ذلك فثمة شر فى الأفق  
مستطير . وبالفورده ( وبنيتى كمان ) وجدتنى انطلق الى القاهرة  
كحمار - الفورده لا أنا - يبرطم الى البيت مشتاقاً . وذلك لى  
اكتشف بعد نحو من عشرين كيلو أنه لا يوجد لى السيارة بنزين  
كاف ! علقى الباطن عليها فى رتب من البداية بطريقة يفسد بها  
الرحلة على . لم أكن محتاحاً الى أن أفسدها بنفسى . فحسرت  
أدوس البنزين بشدة حتى تأخذ السيارة سرعتها . ثم أوقف الموتور  
وأتريها تسير بحكم الاندفاع . وهكذا طول الطريق بحيث مرت  
الساعات وأما عازلت فى منتصف المسافة الى القاهرة . وإذا  
بكلاكس ودائى - وقد أوشكت الشمس على الغروب بسيارة أخرى  
تقيم أصدقائى الحرافيش ! هم استمتعوا بيومهم وعادوا  
ميسرطين . وأنا كما ترى فى تلك الورطة العجزية التى لا أدري كيف .



## ذكريات من اسوان

(١)

في طائرة من طراز داكوتا جلست وبجانبى ص ص ج ( صديقى صلاح جاهين ) . واثنان من ضمن بعة صوت العرب الى اسوان سنة ١٩٦١ . قيل لى عن تلك الطائرة انها ليست طائرة بقدر ما هي توليفة من عدة طائرات قديمة مستهلكة . ولكن ذلك لم يهمنى . انا لم اركب فى حياتى اية طائرة . ولذلك استبعد جدا ان تكون الاقدار قليلة الذوق الى درجة ان تسقط الرجل لى اول طائرة يركبها . والداكوتا كما قيل لى حمار شغل . وعندها براعة فذة لى الهبوط الاضطرارى . تهبط لى الحقل او لى الصحراء او حتى فى الترع والانهار ولا يهمها . فمن يدري ؟ اليس من الممكن ان يسعدنى الحظ خلال رحلة العودة بحالة هبوط اضطرارى امام باب البيت ولا الحوجة لتاكسى من المطار ؟!

حمار الشغل يزجر على ارض المطار متاهيا للحركة . فتقدمت منى مضيئة حسناء وفى يدها صينية عليها مايشبه البستلية . مع انه لم تبدر منى اية حركة توحي باننى من ذلك الصنف من الرجال الذين يتعاطون هذه الاشياء .

- دى دوا !

هكذا قال لى ص ص ج . دواء خالص لرفع الروح المعنوية عند الرجل الطائرة . ولمساعدته على احتمال الضغط الجوى وقلة



حلوة الصورة التى رسمتها لى د . بس كنت عابزها بونين عشان البطالة



جه الملك التي بعده وحطم كل الآثار بنامه مشان مياغشي اعلاوى له !!!

الاولكسجين في طبقات الجو العليا . فكنت اصدق له لولا المضيقه  
التي شرحت لي الغرض من تلك البستمية ، وهو ان تدر اللعاب في  
فمي وتزغمني على الاكثار من البلع ، بما يمنع ادنى من الانسداد  
بسبب الهدير المنبعث من حمار الشغل حين يفعل



عقيلى وبهجت في غربة السوم في قطار الصعيد





الله طيبى لى رحلة صيد

وتأكدت من صحة هذا الكلام عندما انقلع الحمام ، وعندما بدا  
يرطع على أرض المطار قبل تلك القفزة الجاسحة التى طارت به فى  
الهواء مثبتة أنه مهما قبل فهو طائرة . شيئاً فشيئاً يرتفع الحمام  
حتى صار النيل السعيد مجرد خطر صغير يتلوى تحتى ، كشريط  
ماء سال على أرض الحمام من حنفية تنقصها جلدة ، والمزارع  
الخضراء شريط آخر وسط صفرة الصحراء اللامتناهية . منظر  
يشرح القلب حتى ولو تعرض الرجل فى سبيله للموت على اثر كبحه  
لذلك الحمام الطائرة اذا تعثر فى سحابة او غيرها .



ما ارفشى اسعد ... قنا بعد ما صلت له التمانين قالى لنا ممنون

(٢)

وفى اسوان رايت منظرا اخر كان يجب ان اراه ولو تعرضت  
للموت . ذلك العنظر الذى لايمكنك ان تقدره - مهما اتسع خيالك -  
وان لم تره رؤية العين . منظر الرجال الذين - وانا حبيس البيت  
كلمرة عجوز - يعملون فى بناء السد العالى اربعا وعشرين ساعة



في اليوم رجال كالنمل يعملون ولا يتوقفون عن العمل أبدا ، وسط  
هدير الكراكات واللوارى تحت شمس أسوان الحارقة . الديناميت  
يقجر جوانب الجبل الصلب ، وعشرات من الكراكات الضخمة تنطلق  
الصخور المعطمة وتكسبها فوق ظهور السيارات ، وهي سيارات  
من نوع فريد في ضخامته ، بجانبها يقف اللوري العادي كأنه لعبة  
من لعب الأطفال ، حملتها كما انكر خمسون طنا ، فإذا حل الظلام  
اضطربت مئات العصاويح التي تحول ليل الجبل الى نهار ، وعلى  
ضوئها تهدر الكراكات الهائلة وهي تنهش بأسنانها صخور الجبل  
كوحوش ماقبل التاريخ ، العمل والعمل والعمل ، والعرق والعرق  
والعرق ، وطولة الببال التي تهد الجبال ، كان يجب ان ازود أسوان  
لكي أهتف من أعماق روعي بإرادة الإنسان العامل .

### (٣)

وكان يجب ان ازود أسوان لكي أرى النيل كما يجب ان يكون  
نيلًا . النيل اللوهر نيل الفريقي الحقيقي ، مئات الرموس لمئات  
الصخور الجرانيتية السوداء ، عملاقة سمراء تستحم هناك منذ  
عليون سنة . وحياء المهر الخالد تسيل بينها وحولها في معومة  
وجلال ، متمسكة بها في حنان تحكي لها حكاية مامرت به من قفار  
وأدغال

والصمت ان كنت تعرف كيف يكون الصمت وما الظلك تعرف  
هنا في القاهرة لا يمكنك ان تجلس على شاطئ النيل بغير صوت  
من ملايين اصوات المدينة ، ولكنك هناك في أسوان تستطيع ان  
تستمع الى صوت النيل وحده . والنيل يتكلم بغير صوت ،  
ما جعله ، ما اودعه ذلك الصمت في نيل أسوان

### (٤)

وكان يجب ان اذهب الى أسوان لكي أجد فكرة عن المعيشة في  
نيل الكائنات . الصخرة بسبعة جنبات في الليلة والذبح على  
حساب أحمد سعيد ، وسريو طوى لا بد انه من ريش النعام ، ولغوه  
لذعة مريضة من قماش أزرق ظننتها منديلا لزوم الرجل العتوف لكن  
من من ج اك لي انه لحاف لامديد

.. صب اذا غطائي انا ح يغطيك انت ازاي ١٢

لكن لم يكن بحاجة الى الغطاء لأنه قرر ان يتام بالروب الثقيل  
بسوة نام وتركني وحدي لكي أحاول حل مشكلة اللحاف . هل  
أغشى به نصفي الأعلى أو نصفي الأسفل ، أم أغشى النصفين  
بالتناوب هذا ساعة وذلك ساعة مع ضبط حرس المنه نحاشيا  
لحدوث غل ، وأخيرا قررت ان أضعه فوق منكورا تحته مثل ثعبان  
الريفي كبير ، وهو الحل الذي لم يفلح بسبب نعومة اللحاف  
ومفنة . إذ أصبح من النوم وأنا ارتعد ، يتضح لي ان اللحاف قد



.. قومي البسي البزوة لحسن البرنامج بنالك على البوا ...



انزلق من فوقى وسقط على الأرض ، فالتقطه وأضعه فوقى لكى  
ينزلق بعد حين من جديد . طول الليل أمد يدي فى الظلام والنقطة ،  
ذات مرة بحثت عنه بجانب السرير فلم أجده . فاضأت النور لكى  
أراه ساقطاً هناك فى آخر الحجرة . الأمر الذى لم أجده له تفسيراً  
سوى أن اكون قد عطست . وأنا قائم فطيرت اللحاف !

فلو كان معى دهنس لشبكته فى صدرى مثل مريضة العيال . ذلك  
اللحاف الذى تحار فى فهمه العقول ، لماذا يحب الرجل العتوف أن  
يبرد فى الليل ؟ أتراه يفضّل البرد على أن يتغطى بلحاف كبير  
عادى مثل صائر عباد الله من الطبقة الكادحة ؟

فكان يجب أن أذهب الى أسوان كما ترى لكى أحمد الله على  
تعة الفقر

(٥)

على المائدة العريضة فى ولبة رسمية . ومن على يسارى يقبل  
السفرجى الفخم بالصحن الكبير المحمل بالطعام . لا يقبل من على  
يمينى أبداً وأنت تعرف أصول الاتيكيت ، وعلى صحته مع الطعام  
ملققة وشوكة لزوم نقل شئ من الطعام الى صحنى الخاص .  
فلمست أدرى لماذا يستولى على الرعب دانا فى تلك اللحظة .  
أشعر بأننى - كعبيط دستوبيلسكى - سوف أقوم بالحركة الخاطئة  
التي تقلب ذلك الصحن الكبير على الأرض وتقضحنى فى وسط  
الناس . ولكننى اتحاسر وأتناول بالشوكة كوساية محشوة مثلاً ، أو  
شريحة لحم . فى نفسى شوق الى أكثر منها ولكننى أخاف أن أتهم  
بالجشع . وبينما أخذ هذه الكوساية أو الشريحة أشعر بوجهى  
يتورد من الحياء وكأننى ارتكبت فعلاً فاضحاً علنياً ، خاصة وأنا



هو - لا أظن أنى أرى ...

هى - لى . حبيب . ما شئ قلبه أرى ...

أشعر بمئات العيون منصوبة الى ترفلى لترى كم حنة لحمه

، شعوت بالضمط عندما فتمرت الـ واحد من أعضاء البيت



بعلبك الطير

وقت حذره من صحنه مسفرحي الحميد . لانهار ابو لمعة  
 و... و... من اقه حتمار وكيونهم وحمامتهم محضونين  
 ارمب ازر وهو يعصر النبدون خار نل سيء حسي عليه  
 لك سماء - في اساء اليه قارة

ستكون ده بحسما ربه في السد



الرجل سحبل -  
 بسلام .. ده لنا اعلى منه بكنبر

صديقك ابو لمعة الاصلى ذو الجلابية الدبلان المعططة . فرحة  
 الحياة تلتع وراء نظارته السمكية حين يقترب منه السفرجي بذلك  
 الصحن الكبير . فيمد يديه يريد ان يتناوله منه  
 - ايه .. هو عيش كل واحد صحن ١٩

ثم يتناول المعلقة والشوكة ويشرع في تحويل محتويات الصحن  
 الكبير الى صحنه الخاص . ترى هناك قلا كبيرا من الطعام ولكنه  
 ليس احسن حظا من تلال السد - في لحظات سريعة تراه قد نسل



وهكذا لمعتني أسوان في أخذ فكرة عن الطوبى التي يأكل بها  
أبو جلايبة مخططة ، لو أنه حكى لي عنها بلسانه لطنته يفتش

(٦)

وهي أسوان أخذت لفظة أخرى ، إذ رأيت من ج جالسا في  
الشرفة على النيل في هيئة حزن اليم ، واضعا يده على خده شاردا  
المصر إلى النيل كأنه يتذكر صديقا شرق سد ساعتين هناك

- مالك بادوش ؟

- بانكر في قصيدة

فحدثت الله على أنها جاءت سليمة ، واستعدتني أن أشهد ساعة  
المخاض عند أحد الشعراء ، واحضر مولد إحدى الرباعيات التي  
أحبها ، تلك الرباعية التي جلس يرويها لي حين نفعه الله منها  
سعدا

كأن اشتغلت يانيل في تحت الصخور

مليون بؤونة والف مليون هاتور

يانيل أنا ابن حلال ومن خلفك

وليه صعوبة عليا بس الأمور

عمر

رباعية حلوة كما ترى ، وكان لازما أن يتصل بالقاهرة فليطوينا  
بأن يطلع عليه من جهة - - - - -  
رأيه الطير ، فلما تم الاتصال حلل وشرع يلقى القصيدة في  
التليفون ملهجة شاعرية حالمة

- كأن اشتغلت يانيل في تحت الصخور وأيه ؟

ما سمعش ؟

٢٦

وتتحنج ورفع صوته معض الشفاه

- كأن اشتغلت يانيل في تحت الصخور

سمعت ؟ الحمد لله .. مليون بؤونة والف مليون هاتور . لا موش  
صايونة . بؤونة . ما تعرفش شهر بؤونة ؟ والف مليون هاتور  
هاتور موش صايونة .. أنت أطروش ؟

فبدأ صدري بهتز بضحك اكتمه لكي أزيد من حرج الموقف ،  
المكالمة كما تعلم ثلاث دقائق لا غير ، وواصل الشاعر صراخه  
صوت كالغطاق المحب كيف لم يصل إلى القاهرة بدون تيلفون

- يانيل أنا ابن حلال ومن خلفك . جلال . أنا ابن حلال  
ابن حلال الله بخرب ستك !

كان غريبا أن يتفاجأ أنسا بملصقه بذلك الصوت المرتفع ،  
خصوصا وأن الطرب الآخر يبدو أنه لا يصدق الأمر ، فارتفع  
صحكى بالرغم مني ولم استك إلا بعد زخرة من الشاعر

أنا ابن حلال ومن خلفك سمعت ؟ ولله صعوبة عليا بس  
الأمور . صعوبة . يعني صعوبة .. صعوبة عليا . عين لام به  
الف .. أيوه الف أنت شريكى بالحق ؟ هو أنت اللي كاتب القصيدة  
الأنثى ؟

الأنثى .. قصيدة من أسوان .. - - - - -  
- - - - -  
- - - - -  
الأنثى عبر خريطة القطار

ولعلك بعد هذه العجالة عن رحلة أسوان تقرر معي بأن في  
الأسفار كما يقولون سمع فرائد - أو هي خمس ؟

## الثنائي المرح في الأقصر

(١)

حيث جلس بجانبى في الفوردا ( وبنيى كمان ) قال لى ص ب  
ع - اى صديقى بهجت عثمان

- تيجى نساكر الاقصر ؟

سؤال بسيط سمعته بنصف اذن وانا ارقب شراب كاروهات  
اسود يعبر الطريق فقلت

- مانصافوش ليه ؟ اموت فى الاقصر !

وكنا قد وصلنا الى حيث يريد بهجت ان ينزل فنزل ، وواصلت  
مسيرى وقد نسيت كل شىء يتعلق بالموضوع . ومر يومان فاذا  
مطلبون بين . وبين بهجت دارت المحاوره التاليه

هو - خلاص يا عم .. كله تمام !

انا - هو ايه اللي تمام ؟

- التذاكر جاهزة

- تذاكر به ؟

- تذاكر السفر

- سفر ايه ؟

- سفر الاقصر

- هو ليه حد مسافر الاقصر ؟

- اه .



صورة الفنان محمد سحر مظهره في مسرحه ديمورا سوان التليفزيون

- ميبس

- انا وانت ا

واذا به قد تمسك بموافقتى السريعة على سؤاله العابر ،  
مشارحت القليل ما نرى فرحت صحيح اسر نحيوات من شجرة الى  
مصقور ولكن السفر مازال يخيلنى ، قلبي يخلق وقد انبسطت  
بامى خريطة خيالية لوادى النيل ، وقطار وهمى ينطلق بى من  
قاهرة الى مصر صوفى واسميا وقتا . توطئة لان يتوقف امر الامر -  
مادة حادة معالحة - امام تمثال ضخم لرعوى مايكسفى بصورة



حرانيتها قاسية فلماذا اعرض نفسي لتلك المغامرة الرهيبة في  
مجاهل التاريخ والجغرافيا ؟

لكنني استنجدت بطبيعتي العصفورية الجديدة وتوكلت على  
الله ، بعد مزيد من الالتحاح من بهجت الذي أكد لي أنه قد جرب  
تلك الرحلة عدة مرات لوجدتها لا تزيد عن شكة الابرة . وإذا كان  
السياح يأتون من أقاصى الارض يزوروا الأقصر ، ليس عيبا أن  
أعيش وأموت انا المصري ( كريم العنصر ) بدون أن أرى الكرنك  
والدير البحري وصورة الد . . . فبكرة نخت ؟ وهناك في  
الأقصر كثير من السياح والسائحات ، أبعد على ربك أن يضع في  
طريقي هناك مليونيرة أمريكية مغامرة ، تفتتها وراء نظارتي نظرة  
فرعونية حائلة فتظفر منها بشيء من العملة الصعبة ؟

وهكذا وجدت نفسي في المحطة اصعد الى عربة النوم بقطار  
الصعيد ، ربما انها اول عربة نوم احريها في حياتي فاسمح لي  
بكلمة او اثنتين عنها

( ٢ )

سرير تحت وسرير فوق في حجرة متر في مترين ، والجدران من  
الفورمايكا الخضراء اللامعة وبين السرير والدولاب مسافة سمعت  
لي بالوقوف فيها لا شيء الا لائتي لست سيده في شهرها  
التاسع . ورف للحقائب على ارتفاع مترين لكن اصل اليه كان لراما  
على أن اصعد على السرير السفلى واتشبعت في العلوي ممسكا  
الشفطة بأسناني

وفجأة ساورني احساس غريب جعلني الجأ في محاولة تفسيره  
الى بهجت

- احنا شربنا ما به في استراحة المحطة ؟

- قدوة

- متأكد اني ماشربتش ويسكى ؟

- طبعا

ولا براندي ؟

طبعا

امال باتطوح ليه ؟

لسبب بسيط جدا ، ان القطر مشي .

مارتحت وقد فهمت ، ويحث عن شيء أستقر عليه فلم أجد  
السرير الذي تحت ، والذي جلست عليه محتيا رأسي لكيلا  
يحضر بين قضبان السرير الذي فوق ، وفي جلستي لا أبرح  
امال الى الامام والخلف كأنني اركب جملا لا قطارا

فاخرجت كتابا لأقراه فأتضح لي أن هذا أمر شبه مستحيل  
- ذلك الاهتزاز - ان أثبت عيني على السطر الاول فسرعان ما  
- من نفسها - الى السطر الاخير . يعني أنه لا جلوس  
مستريح ولا قراءة في هذه الحجرة التي تبدو أن المهندس قد  
نسها وفقا للمعنى الحرفي لحجرة النوم ، أي انها الحجرة التي لا  
وزك فيها ان تقف او تجلس او تقرا او تمشي او تصنع أي  
شئ سوى أن تنام . فلو انه بهذه العقلية صمم حجرة للجلوس  
الظن انه لن يزودها بكنية مخافة أن تستعملها في النوم ، او  
مخافة أن تستعملها في الطعام .

مقلت لروحي انام ، وعند ذلك فقط تبينف انه حتى النوم - الذي  
أجله صنعت الحجرة يعد أيضا من رابع المستحيلات .

جميع عجالات القطار يصم الأذان ، والسرير يهتز بي كأنني في  
سبحة . وذلك الاهتزاز الذي يشد أحيانا الى الدرجة التي يخيل  
لي أنني في جهاز للطرد المركزي . ومن الاهتزاز اشعر بكبدى  
يطح معدتي ومعدتي تنطح طحالي ، وبمصاريني كلها تتلوى  
ويشك أن تتلعبك متلما يتلعبك رباط الحذاء . قلبي نفسه غير  
وصفه عدة مرات ، مرة سمعته يدق في جانبي الأيمن ، ومرة  
أرى في أعماق بطني السفلى غير بعيد عن المثانة .

حتى بدون هذا الاهتزاز كان النوم مستحيلا ، فكيف انام وليس

رأسى مخدة ؟ نعم أن هناك شيئا في صورة مخدة ، ولكنه  
إلى كبر مخدة منه إلى مخدة . كبرس فارغ إلا معا لا يمكن  
يد على أوقبتين من مادة قد تكون قطنا ولد لا تكون . مخدة  
، ثلثان لزاما على لكي استخدمها أن أطويها عدة مرات متسا  
متديل اليد ، وحتى بعد انتهائي من طبها وحدتها لا تزيد في  
ساع على المتديل المذكور فلا بد أنه كانت هناك أزمة قطن  
استعوا هذه المخدات لعربة النوم ، وهو بالطبع امر غريب في  
محصلوها الاول القطن . فليست أشك في أن الرجل الذي تولى  
هذه العملية ينظم في هذه اللحظة على مخدة أعلى من المعتاد

اعة وراء صاعة وأما أحاول أن أنام بغير فائدة . حتى شعرت  
سدة العيظ أنني أريد أن أسكن . وهنفت في الضلام مصوت

سہمت ! اما عارضہ ایروہ !

لم يجئني بشرء سوى غلطي ألتئم في سابع مومة ، وهو ما قد  
رأى أن العيب حتى أنا لا في عومة النوم . حين وفيها لما مددت  
وكان ذلك في اللحظة التي طرق الباب فيها طارق يدور أمثاقه  
ما من الاقصو .

ذلك عاما اعرف ما سوف افعل اذا ما اضطررت الى التمسيت من  
 نار مرة أخرى .. سننام في بيتنا وأروح في النوم . مع تكليف  
 من أهل البيت بأن يظلوني قائما الى المحطة حيث يتعاون عدد  
 الشياليين على حملى الى عربة النوم وايداعى على السورير  
 وأغلب الغن اننى - مذكور قد اخذت على سبيل الاحتياط  
 موزونين

111

نزولنا من القطار انتهت مرحلة الامتياز الاقضى وبدأت مرحلة زاز الداسى . على العربة الحظوظ التى نقطنها من المحطة الى ، ثم على المعديفة التى عسرت بنا النهر الغرس ، ثم السيارة



الريمية التي حملتنا الى الفندق وتقاضت منا - عبر مسافة لا يمكن ان تزيد على كيلو مترين - خمسة وسبعين قرشا . فسألت بهجت وانا اهتز :

- احنا رايعين ونتر بالاس ؟ .

- لا ، رايعين عبد الرسول بالاس !

فسأله عما يعنى ولكنه تلع بالقموض ورفض ان يجيب ، تارك اياى اكتشاف الامور شيئا فشيئا

- وهناك عند الحد الفاصل بين خضرة الحقول وصفرة الجبل

دخلنا الفندق الصغير لصاحبه الشيخ على عبد الرسول اسمه فندق

المرسوم نسبة الى مرسوم كلية الفنون الجميلة المقام بجانبه ، وهو

مرسم يرسل اليه المتفوقون من خريجي الكلية ليقضوا فيه سنة او

اكثر كبعثة دراسية داخلية

فسألت بهجت فى دهشة :

- بيعتوا المتفوقين هنا ؟ !

- اه .

- غريبة دى .. اول مرة اسمع ان المتفوق عقوبته النفى

وفى حديقة الفندق جلست وانا اطلق من اعماقى زفرة ارتياح

سعيدا بهذا الكرسي الذي كان اول شيء - منذ ليلة كاملة - اجلس

عليه فلا يهتز تحتى . حقول القمح منبسطة امامى الى ما لانهاية

شئ يشرح الصدر . وبرياح منعشة تعابثها بين الحين والحين

لنتموج وتبدو لعينى اشبه ببحر اخضر كبير

لكننى احسست بان ارتياحى ليس خالصا ، واكتشفت السبب

عندما وجدتنى ارقع نفسى بالقلم لاطرد ذبابة لا تريد ان تتطرد

ذبابة ثم ذبابتان ثم عشرة . ما اكاد اكف عن النش حتى يغطي

وجهى كله بالذباب . فقلت لبهجت هاسسا

- يظهر ان اللوكاندة دى مش اذ كده

- ده موش من اللوكاندة ، افهمنى ، ده البر الغربى كله كده

علشان زراعة القصب

- وبه ما نزلناش فى الشرقى ؟

فقال ان البر الشرقى ليس فيه سوى الكرنك ، اما هنا فيوجد

رادى الملوك والدير البحرى وما يقرب من ثمانمائة مقبرة لسبلاء

عراقة . فأسلمت امرى الى الله وتنهيت واما اصلح نفسى من

تدبير ثلاثة ايام كاملة وانا اش الذباب . فى الفندق انش وفى

الطريق اش وفوق الجبل اش . لم تتوقف يدي عن النش لحظة

واحدة . طول الوقت اجلس فى ما يشبه مطرا من الذباب . ويدي

تروح وتجيء امام عينى كأنها مساحة عربية . فهذا هو السبب

الذى من اجله اخترع بهجت الها جديدا اضافه الى الالهة

الفرعونية .. الاله نش واخوه فليت !

فلو انه كان ذبابا من النوع العادى لهان الامر ، ولكنه ذباب من

نوع خاص جدا . النوع الانتحارى الذى ترفض الواحدة منه ان

تقادر وجهك الاذنانة او مقبولة . لا استبعد ابدا ان يكون الفراصة

لحبلاء قد حققوه معقار ما لزوم الحرب ، لكن ينسلوا العدو بالنش

بفتحوا كرشه . فاذا كانت الدبابة العادية تريد ان تستخدم وجهك

مضطرم على الواقف فهذه الدبابة تريد ان تستخدمه كنفذ

للقامة . او حتى كشقة التمليل لا الابحار . فاما انت نظرت الى

وجهى وظننت ان السفر قد افادنى واننى . رادد . شوية فأعلم انك

خطيء . انما انا وارم من كثرة ماصفت نفسي .

اما اهل البلد فقد الفوا الذباب بدوكة جديدة بالتهنئة حقا .. هل

تصدق اننى قل ان اخاطب الواحد منهم . كنت انش الذباب الذى

على وجهه لكنى اعرف هو مين ؟ بل ان بهجت نفسه ثجع فى ان

اعتاد عليه بصورة لا بأس بها ابدا . فهل تصدق اننى جلست ساعة

تحدث الى صاحب الفندق . حتى تصادف ان نش الذباب عن

وجهه لماكتشفت اننى كنت احادث بهجت ؟ .

( ٤ )

في البر الغربي بالاقصر . وبمنشأة في يدى لزوم هش الذباب  
الاقصرلى . انطلقت الى الجبل لكى اأخذ فكرة عن الحالة الفنية  
والعقائدية عند اجدادى الفراعنة

رفقانى فى الرحلة التاريخية هم الرسام بهجت عثمان . وبهجت  
اخر هو مهندس ترميم الآثار على بهجت . وسانحة امريكية اسمها  
«ببتي» . وثمان من المنطيين فى مرسى الاقصر . لتفوقهم  
الدراسى . هو مير اسكندر . وهذا الأخير يتمتع بشيء اتعنى طول  
حياتى ان اتمتع به ولا احرز . وهو تلك اللحية الكثيرة الكثيفة  
السوداء التى لم تحلق منذ عام كامل على الاقل . هناك فى ذلك  
المنفى البعيد حيث تدر مقابلة الاغراب . وحيث تتغير مقاييس  
الحمال وفقا للبيئة القياسية الوعرة . لسادا ينهب الامساى نفسه  
بحلق لحيته : فوالله - اقول لنفسى - لاسافير اما الاخر ذات يوم  
لكى اقيم فى ذلك المرسى عاما . لمجرد ان استمتع بهذه اللحية  
الطويلة . فبهذه اللحية لا استبعد ابدا ان يوحى الى - وانا اعبت  
فيها باصابعى فى هيئة تأمل فلسفى - برواية لا تقل فى قيمتها عن  
الحرب والسلام التى استلهمها تولستوى ذات يوم من عدايمته  
لحبته الخاصة . وقبل ان اغادر لحيه مير اسكندر احب ان اعترف  
له بشيء . باننى شككت فى امرها فى البداية وطمنت انها سحابة  
جائفة على وجهه من ذباب الاقصر . لم استوثق من انها لحيه الا  
عندما نششتها بالمنشأة واكتشفت انها لا تطير

### فى الطريق الى وادى الملوك

باسيارة سريا فى طريق مرصوف حديثا . كالشعبان الاسود  
يتلوى بين كتل من الجبال الصخرية الشاهقة . المشققة عن محل  
عوامل التعرية خلال مليون عام . ان قلت لسانحة الامريكية اظن ان

ثم جبالا من هذا النوع فى كولورادو . فابتسمت ولم تقل شيئا .  
التعليق الذى واجهت به معظم ما واجهت اليها من الكلام . على  
ما اسمع عن حب الأمريكين - خصوصا اذا كانوا  
سكانات - للثروة . فلعلها متعبة بسبب ما سمعنا انه قد وقع لها  
اليوم السابق . ان غامرت بالخروج وحدها للاستكشاف لتأهت  
لصحراء وكانت تصاب بضربة شمس . وفقدت الوعي وعادت  
«موتة» - عبر كيلومتريين - على كتف رجل صعيدى طيب وفى  
أوقت نفسه قوى

مام فمرتوت عنخ امون وقفت بدا السبابة . والى حوف الارض  
«سنا» حتى وصلنا الى حجرة خالية وعلى حدرانها نقوش لم تتم .  
فى حيلة - كما اخبرنا المهندس على بهجت - كثيرا ما لجأ  
«اعنة» اليها بقصد تضليل لصووس المقابر . هم يتركون تلك  
«حجرة» فى بداية القبر لكى يظن اللصوص ان قبر مهجور بدليل انه  
يتم . فينصرفوا غير عالمين ان القبر الحقيقى كان وراء هذه  
«حجرة» او تحتها . وان نعمة بابا سريا كان يمكنهم ان يهتدوا اليه لو  
هم جشموا انفسهم مشقة التفتيش . فاللصوص كما ترى قديمون  
دا فى التاريخ . طول الوقت يوجدون حيث يوجد الملوك .

### من فندق عبد الرسول بالاس

هناك يرقد المرحوم توت عنخ امون . فى جوف التابوت  
المصنوع من الذهب النفيس . وهو تابوت قصير نوعا بسبب ان  
راجل قد رحل وهو دون الخامسة عشرة من عمره . منذ الفى سنة  
هو يتام تلك القومة . ترى هل خطر له انه فى ذات يوم سوف يتفرغ  
«بظيفه» واحدة هى تنشيط السياحة وتزويد البلاد بالعمل الصعبة ؟  
«لا بالطبع» . فقد كان يظن ان الهة احكم من ذلك . واسهم سبكتلون  
«سعادة» اندية فى قبره الملكى وسط نغمات الكنور التى دفنت معه  
فى ذلك القبر



الحوش المبلغ كله - يكون قد جاوز السبعين ! منطق معقول  
السنة للسائح الفقير . وهو ما يشير سؤالا آخر هو اين السائح

مناكدة اذك ما تعبتش ؟

بمات يس . وتنهدت أنا في صمت حيث واصلنا سيرنا الى  
الساكن وهو مقبرة الملك سيتي الاول وهناك وقفنا ساعة  
لن نقوش البارزة التي تغطي كل ملليمتر من الحدران  
التي . جدران المقبرة العجيبة المحفورة في الصخر في خوف  
والسقف هو الآخر تحفة من تحف الفن . بالرسوم التي  
تلا من سماء الدنيا وسماء الآخرة . بها فيهما من نجوم  
السموات وامراج في هيئة حيوانات فانتازيا من الالوان لاشد انها  
تنبأ بان نرسل حمرة الخجل الى وجه ما يكل اسفل نفسه .

( ٦ )

نقلت لرفقتي وأنا مذهول من تلك الروعة الفنية . اليس من  
ريب أن يبلغ الانسان الفرعونى تلك الذروة من فنون الرسم  
التي والمعمار . وفي الوقت نفسه يدين بكل تلك الخزفيات  
التي نعرفها عنه ؟ .. فوافقتي بهجت الاول وعارضتني  
الثاني ، قائلا لي - في تحيز طبيعي للفراغة الذين يدفعون  
اليه - ان هذا الذي اسميه خزفيات كان بدوره نصرا كبيرا  
للفراعونى الذي امكنه في فجر العقل البشري ان يبتدع هذا  
الشيء المعقد من التصورات عن الآلهة وعن خلق الكون وعن  
روح وما يحدث لها بعد ان يموت صاحبها . فاعترفت له بان في  
هذه كثيرا من الصدق . الا أنه يتنسى بالطبع ان هذا النسيج  
الذي ليس من ابتداء هؤلاء الفراغة أصحاب هذه الآثار .  
ما هو مجرد تنويع على اللحن العفاندى للعصر الطوطمى الذي  
لا دون ان يترك من آثاره شيئا . فقبل الفراغة الذين عثرنا على

من قبر توت عنخ امون خرجنا الى النور والذباب . مع تسجيل  
اعترافي بالحمل للسيدة الامريكية التي تصاحبنا . والتي سحبت  
لي تقسيم الذباب بيني وبينها . بشرتها الامريكية فيما يبدو قد  
طابت لذلك الذباب اللعين اكثر من بشرتي . ان سرنا في الشمس  
الحارقة ورأيت السيدة ترفع جريدة تحمى بها راسها فقلت لها  
- تعبتش ؟

فقلت نو . ولا ادري لماذا غاظني قولها . فلعله امل يتلاعب في  
عقلي الباطن ويمنني بأن تدوخ فأحملها كما حملها الرجل  
الصعيدى امس . حقا ان عمرها لا يمكن ان يقل عن اربعين سنة .  
ولكنى بالطبع لا ارمى الى شيء سوى ان اقدم لها خدمة سياحية  
ارفع بها - عن طريق رفع السيدة - راس بلدى . وحقا ان الرجل  
الصعيدى قد تولى هذه العملية قبلى . لكنه رجل عامل فقير ، ربما  
ظننت السيدة انه ما قام بهذه الخدمة الا طمعا في البقشيش اما  
اذا قام بالهمة رجل متقف مثلى فهذا شيء آخر . شيء يدل على  
الشهامة المتفانية في الشعب المصرى باختلاف طبقاته . من  
عمال الى فلاحين الى متقنين

ثم ان السيدة وان كانت في الاربعين الا انها بدت وسط سائر  
السياح الموجودين في المنطقة أشبه بمراقة صغيرة اطلست  
ادري ما السبب في ان تصعب في المائة من السياح شيوخ  
وعواجز قد وهن العظم منهم ومنهن . لا استبعد ابدا ان بعضهم  
ما حضر من بلاده الا لكي يسترجع مشاهد التاريخ التي حضرها  
ذات يوم في صباه على الطبيعة !!

لماذا لا يقبل على السياحة الا العواجز ؟ سؤال اجاب عنه  
المهندس على بهجت بان هذا شيء طبيعي جدا . ان السائح  
الذى يحلم طول عمره بزيارة ارض الفراغة . والذي يدخر كل عام  
مبلغا من المال لكي يحقق به هذا الحلم . ليس غريبا انه - على بال

اثارها كان يعيش على ضفاف النيل انسان بدائي آخر يقدر  
الحيوانات ويؤلفها ويسترضيها بالقرايين ، شأنه شأن الانسان  
البدائي الذي على ضفاف الفرات ، والذي مازال يعيش حتى يومنا  
هذا في استرايا وادريزيا وامريكا في شكل محنعات متخلفة من  
هذا الانسان البدائي استق الانسان الآخر الفرعوني ، الذي صنع  
المعجزة وحقق هذه الطفرة الفذة في مجالات الفن والعلم ، فلماذا  
عجز هذا الانسان عن تحقيق طفرة جذرية مماثلة في مجال الفكر  
والعقيدة ، ولماذا اهتم فقط بنفس العقيدة الطوطمية معتة في آلهته  
من الثعالب والنقر والصقور والثعابين ؟

(٧)

ومن مقبرة سنيتي خرجنا قاصدين الى الدير البحري ، والدير  
البحري ان كنت لاتعلم من مخلفات السيدة حتشبسوت ، وفي هذا  
المعبد ترى مجموعة من الحدرا الشاهقة التي يبلغ عرضها مئات  
من الأمتار ، وعليها من تحت الى فوق رسوم ونقوش تحكي القصة  
الحقيقية التي لفتتها المرحومة لكي تنتزع العرش من تحت  
الثالث ، وهي قصة العلاقة بين الاله امون وبين السيدة والدتها  
المسماة بأحمس ( وهو اسم مشترك مثل احسان وعصمت ورجاء )  
كيف تسفل الاله الخبيث الى قصر السيد الملك متخذا لنفسه شريك  
زوجها - ليستغل الحراس في اغلب الظن ، وهناك في مخدع  
السيدة كشف لها عن شخصيته الحقيقية ، لهفتت تقول ما احلى  
ان استعلى وجهك وما احلى ان تضمنني اليك ! فلم يكذب المذكور  
خبيرا ، ولم يفادر المخدع الا بعد ان وضع فيها بذرة الهية للطفلة  
التي اخنار لها اسم حتشبسوت ، والتي ستكون ذات جمال لامثيل  
له بين الالهة ، ولتصبح ملكة على القطرين تقود الرجال في هذه  
العلا .

٩٠

بهذه القصة نجحت حتشبسوت في ان تمنع الناس بحقها  
الاهي في عرش مصر ، ولعله من طريف ما يذكر عنها انها في نهاية  
الامر يكفها ان تحكم البلاد بوصفها سيدة ، بل رأت ان تحكمها  
بوصفها رجلا ، فتزيت بزي الرجال وأطلقت لحيتها مثل متير  
اسكندر - اعنى بالطبع ركبت لنفسها لحية مستعارة !

هم من السيدة ومن العلاقات الالهية المربية لوالدتها ، تلك  
الرسوم المذهلة التي تغطي تلك المساحات الشاسعة من الجدران ،  
والتي لم تفقد روعتها رغم انها باهتة ومطمومة في كثير من  
مواقعها بفعل كل من الزمن وتحتمس الثالث ، ان انه ما كادت  
السيدة تموت حتى اسرع الى جدرانها وهات يا شخبطة في الرسوم  
لكي يمحوا من الوجود كل شيء يتعلق بسيرة غربته الميتة  
وسلوت الى تلك الرسوم الباهتة وقلت ليهجت الرسام  
وش عندهم في مصلحة الآثار خريطة تفصيلية للرسوم

... له اه عرضت عليه تلك الفكرة الجريئة : لماذا لا يستاذن  
... ثم يحضر هو وعدد من زملائه الرسامين وفي ايديهم  
... ان ، فيمكنون على تلوين تلك الرسوم الباهتة وردها الى  
... الاسلى وفقا للخريطة ؟ فلست اشك في انه لو اشتعلت تلك  
... تلك الالوان لوجدنا امامنا اضخم كرنفال لوني على

... اعجبت بهجت ، فلا شك انه سيطلع منها بقوشين  
... الاضافة الى دخول اسمه الى الابد في التاريخ  
... اما متير اسكندر فما كاد يسمع هذا الرأي حتى ترامت  
... نظرة غريبة اشد سوادا من لحية التي أخذت تخلق  
... كراهية وازدراء بوجهها نحوي ، الامر الذي جعلني  
... من وحولي لارى من ذلك الشخص الذي يكرهه فلم اجد  
... ولمهت من كلامه - عندما استطاع ان ينطق - ان  
... الذي ادليت به لا يخرج عن كونه كفرا صريحا ومبينا ،



وانه لا عاش الفنان الذي يجزو ان يعد به التعديل الائمة الى ما بقى  
من آثار الفراعنة الامجاد . مثل هذا الفنان يجب ان تقطع يده القوي  
لكي يعيش معذبا بدون يد . وبعد عام من هذا العذاب تقطع رقبته  
أيضا . وبينما هو يصب ذلك الغضب على الفنان كانت تطرفه تقول  
انه يصبه على انا الآخر لا جتراني على قول ما قلت . فحركت  
منشئي امام وجهه مرتين . فأكدت من جديد انها الحية لا ارباب  
وامام الدير البحري وجدنا مهرجانا سويسنيا عسريا . مكونا من  
راقصي وراقصات فرقة رضا . الذين يمثلون فيلما امام التعبد  
ومن مكر الصوت يسمع صوت كورس من البنات يمشن قائلات  
نوت . نوت . حشيشوت . نعمتي ياروحى في قلب قابوت ا وكلعات  
اخرى من هذا النوع الذي نزل على دماغى . في هذا الاطار من  
الحلال التاريخى - نزول حردل الماء السافع . مو الله لو ان  
حشيشوت تنبات بهذا التهزى من احمادها لاعتت ابا اليوم ندى  
تسلل امون فيه الى مخدع امها .

( ٨ )

في الشمس الحارقة واصلنا رحلتنا نحو نوع جديد من المقاس  
هو مقابر النملاء . اذ التفت نحو السانحة الامريكية التي ما برحت  
تضع الحريدة فوق راسها وقلت اسألها  
- لسه برصه ماتعشيش .

فصوت على قهقهة او تنهت زاهو . صحت الى مقبرة رحل  
اسمه . عمة . قصديا . وعلمت من رفقى انه كان يشغل مصصا  
بمنه . مصص مدير الحانسة المسكرة على ايام قدام . ففعل هذا  
هو السعيب في شد التمسك التي تربى حيا في قبره . والتي فعل  
الفلاحين والفلاحات . وهم يسمون القبر . حبرة موشة لاني وحسدهم  
تم يستعملوا حبرة الحبر والدماء اليوم اسماء السيد في حياة  
الاحرة . حقر في موته فزيرب الدم ان يصنع طعامه . ففعله بل

سحر العبر في العمل . بل ومطاف واحد منهم . في  
لا . قصير في العمل . واذا لامعنا صور المتبات  
ت في مامية اخرى من القمر فلما يعرف ان الرجل لم يكن  
يكل ويشرق فحسب .

- حيا من هذه المقبرة الى مقبرة نبيل اخر يدعى . نحت .  
ايضا عدة رسوم من اعمل واشهر الرسوم الفرعونية . صورة  
الثلث . واحدة تدعى اوتار القيثارة والثانية اوتار العود .  
في سفح في الناي . والثلث اعمل من بعضهن . خصوصا  
على التي نسيت ان تلمس هدمها . والصورة الثانية لثلاث .  
- فتيات . واحدة تقدم للآخرى فاكهة ما لكي تقضم منها  
والثالثة تشم زهرة اللوتس . وعن قرب منهما فتاة يبدو انها  
فرعونية والا فلما راها هي شبه عادية . في رشفة تحضر الى  
وترفع اراعها الذي يكشف عن نهج حميل . تعد يدها لكي  
موطا في اذن واحدة من ثلاث حبيبات اخريات . فهذا  
- سى نحت . لم يكن يموى فيما يبدو ان يصيح اي وقت في  
تصاحبه . صة .

- لاحظت ان وجه السيد نحت مملوس في كثير من الصور  
- من ان ماقر جسمه سليم . وسؤالي عن السبب عرفت انها  
تضويه مقصودة من اعدائه الذين اقتحموا المقبرة بعد  
والوجه عند الفراعنة هو معقل الروح . واذا امت شوهته في  
- تكون قد خربت بيته وموتت ان تلعب مهانيا من الحياة  
- فكرة صديانية بالطبع ولكنها ليست مستغربة اذا نحن  
الانفسا . اليس يعيش بيما اليوم من يؤمن بانه يستطيع ان  
- يحوه عن طريق احراق صورته وتخريق عيها . كما يوجد بين  
والحبر من يتوسل للايذاء بالنكت في العقد .

من هذه المقبرة الجميلة خرجنا من جديد الى شمس الظهيرة  
التي اصبحت كالنار . واننى تحول المنطقة فى الصيف كما يقولون  
الى جحيم صرف . فلست أدرك لماذا اختار فراعنة الاسرات  
المتآخرة هذا المكان عاصمة لهم . وكيف استطاعوا ان يحققوا فى  
هذا التحميم كل هذه المعجزات الفنية والهندسية وهم يتصيبون  
عرقا . وليمة بشرية لهذه الافواج من الذباب ؟ فاعلم الظن ان  
الدنيا لم تكن بهذه الحرارة فى تلك الايام غير معقول عندى ان  
يدفن الفرعون الكبير نفسه فى هذا الفرن بلا مناسبة واصحة  
مسيما انا اهوى على وجهى استجلالاً للهواء وطرداً للذباب  
التفت من جديد الى السيدة الأمريكية  
- اظن موش معقول تكوى ماتعبتيش .

فقلت نو

- فى الحر ده كله موش تعبانه !

- موش حاسة باى اعراض دوخان ؟

فأصريت على قولها نو . وهو ما دلنى على انه قد فاستنى الى الابد  
فرصة الخدمة السياحية التي اقدمها الى بلادى .

الشمس الساخنة تسفح صلعة رمسيس الثانى . من أعلى رأس  
الحرانميتية التى تبلغ فى ضخامتها حجم فيل كبير . والعلقاء على  
الأرض وسط سائر أعضاء التمثال المحطم . الذى لاشك انه كان  
رهيباً حيث وقف كالقدر يتصدر معبد الرمسيوم .  
اذن التمثال وحدها طولها متر . وارتفاعه وفقاً لمقدير العلماء  
كان ١٩ متراً . ووزنه بأبلاش - ألف طن ! فلاشك ان البلاد  
بناء هذا التمثال ظلت مدة طويلة تعاني أزمة فى الجرانيت  
شمس ساخنة يدهشنى انها لم تصهر ذلك التمثال على مر

ثلاثة الاف عام . ويدهشنى اكثر انها لم تتسبب فى اى موع من  
الدوخان للسائحة الأمريكية . من وادى الملوك الى الدير البحرى  
الى الرمسيوم وهى ترفض ان تدوخ فأحملها او حتى تترنح  
واسندها . لاكسب ليها بعض الثواب من الناحية السياحية . ولاهى  
سيت بان تدوخ عندما تابعك إشارة بهجت نحو الرصم المحفور  
فى الجرانيت لاله التماسل « عين » . كل ما فعلته هو ان اشاحت  
وجهها - متوردا - وتشاغلت بطرد موجه وهمية من الذباب . فقلت  
لنفسى معلش لسه قدامنا الكرك .

وعبرنا النيل الى البر الشرقى حيث سمرنا - بهجت وانا والسائحة  
والرسامة جاذبية سوى ومنير اسكندر ذو اللحية السوداء - فى  
طريق الكباش الشهير متجهين الى معبد الكرك . وبأخساره لن  
اسفه لك وصفا كاملا اذ احتاج فى ذلك الى مالا يقل عن مائة  
سلحة . حسبك ان تتخيل ان مئات الاعمدة الضخمة الشاهقة .  
ومئات التماثيل ذات الاحجام الخرافية : والمسلات والجدران  
المسجلة عليها بالرسم تاريخ مئات المعارك والغزوات . والنوابات  
العديدة التى جعلت الشاعر اليونانى هومر يسميها بالمدينة ذات  
الابواب . وفيما جعلت العرب يسمونها - لروعتها - مدينة القصور  
لك التسمية التى حرقت على مر الزمان الى الاقصر . مصر تحت  
طلال الفراعنة للاستاذ محمد صابر .

ومن بين الصخور الملقة على الأرض تثبت حلفاء كثيفة اشارت  
ليها الرسامة جاذبية وحذرتنا من الخوض فيها مخافة الثعابين  
. الت كلمتها باللغة العربية قرأيت ان استهز الفرصة لتقديم خدمة  
سياحية . وترجمتها لها بالانجليزية :

- فيه هنا ثعابين !

- أوه !

- ثعابين كثير . قوى !

- أوه !

- ويتركس كمان !



- اوه ١

- يس

- آمال مايتدوخيش ليه ٢ .

- اوه نو

والصمت العميق عند البحيرة المقدسة . ٨٠ x ١٢٠ مترا .  
التي طفت عليها ذات يوم قوارب مزركشة تحمل تماثيل الالهة وسط  
انوار المشاعل ليلًا . في الاحتفالات الدينية التي تمثل فيها قصص  
وقصص عن أحزان ايزيس . وثمة سفينة مسحورة لاتبرح حتى  
يوئنا هذا . هكذا يشيع الصعابدة - تطوف فجأة على سطح البحيرة  
وهي محملة بالذهب . السعيد من تصادف وجوده هناك وقتها  
وامكنه أن يتصلل اليها ليظفر بسبيكة ذهبية تعينه مدى الحياة .  
خصوصا اذا نسي أن يشير اليها في اقراره الخاص بضريبة  
الابرار .

على شاطئ البحيرة وقفت اجيل النظر بينها وبين المسلات  
والتماثيل والأعمدة . عفتونا أقول لنفسى سبحان الله . أى غرام  
كان يجذب أولئك العراة الى تلك الضخامة الرهيبة . الف طن من  
الجرانيت لتعثال ومسييس . وكم الف فى ابو سمبل وكم الف فى  
اهرام الجيزة الثلاثة . لماذا كل هذا الولع بالضخامة ؟  
وباعرابى عن هذا الخاطر لبهجت قال ان الضخامة وان كانت  
غير مطلوبة فى ذاتها فهي فى النهاية تعطى احساسا اكيدا  
بالجلال . وهي على أى حال اقرب الى روح الفن من الظاهرة  
المتعشية فى عصرنا الحديث كبديل للضخامة ظاهرة الاسراف فى  
الكم فى انتاجنا الفنى

فتفكرت فى الامر حينما توطئة لان اقول

- هاهنا

ونظرت الى العباء المقدسة اللامعة التي عكست أربع صور  
متراصة لنا . واختلست النظر الى السائحة قائلا لنفسى ارفهاش ؟  
قلو أنها سقطت فى الماء لاتيح لى ان اظهر الشهامة المصرية

الفقر وراها لانقاذها . ولكسبت بذلك بعض ما لنشد من الثواب  
السياحى . نعم لماذا لا ادفعها الى الماء ما دامت لاتريد ان  
تج . لكنها سرعان ما ابتعدت عن الشاطئ . قرأت أمكاري فى  
اغاب الظن .

وفى طريقنا الى الخارج - وأنا اسير متحاشيا وطء الحلقاء -  
حطرت لى تكتة رايت ان اغامر بقولها  
- غريبة ان التعابين هنا موش فى المحلة .  
- المحلة ! اشمعنى المحلة ؟  
- مش المحلة الكوبرا ؟ !

وانتظرت ان يضحكوا لكن احدا لم يضحك وهو مايدك على  
مخافة التكت اللفظية

- تيجى ايه التعابين - قال منير اسكندر - جنب العقارب  
ودوى لنا كيف تهجم العقارب على الأقصر فى فصل الصيف .  
- انى أنه يقتل فى الليلة الواحدة ما لا يقل عن عشر عقارب . فاقشعر  
- سى وبدأت اراجع نفسى فى امر العام الذى افكر ان اقضيه فى  
سم الفمون لكى استمتع باطلاق لحييتى . فهل يرصيك ان اصحو  
ات صباح لكى اداعب لحييتى فتطلع يدي منها وفيها عقوبة ؟  
وعلى مائدة العشاء فى فندق عبد الرسول بالاس . بينما أنا  
محصص فخذ حمامة لذيدة خطر لى انه قد حان الوقت لكى  
استكمل معلوماتى عن الفن الفرعونى . لماذا مثلا يصور الفنان  
الفرعونى على أن يرسم بروفيل الوجه بدلا من رسمه من الامام ؟  
لماذا يصور مع البروقيل على أن يرسم الصدر مستعرضا ؟ ولماذا  
سم العين فى وسط البروقيل بدلا من مكانها الطبيعى ؟ وكيف  
يح للالوان التى رسم صورة بها ان تبقى بهذه الروعة حتى الان ؟  
وق كل ذلك كيف رصى هذا الفنان لنفسه بان يرسم كل تلك  
الروائع دون أن يوقع باسمه على أى واحدة منها ؟

فالحمد لله اننى كنت محاطا بثلاثة من الرسامين - جادبية  
هجت وذى اللحية السوداء - اذ عرفت منهم الآتى ذكره

بالنسبة للألوان لم يكن الفنان الفرعوني يرسم بالألوان الكيميائية مثلما ، وإنما بالألوان الطبيعية التي يحصل عليها من الحبل في شكل صخور وأتربة حمراء وخطراء وزرقاء وعلى كل لون تلك الألوان الموجودة في الطبيعة منذ الأزل . ما الذي يمنعها من أن تبقى ثابتة في الصورة الى الأبد ؟

أما عن بروفيل الوجه والصدر المستعرض فقد اختلفت الآراء نوعاً ، وإن اتفقت في النهاية على أن الفنان الفرعوني كان لا يستهدف في رسومه شيئاً سوى الجمال ولو كان ذلك على حساب المنطق والواقع . فلعله رأى أن بروفيل الوجه أجمل من الوجه نفسه . وإن الصدر المستعرض ووضع الساقين هو الآخر جميل بالرغم من مخالفته لوقفه الإنسان الطبيعية . وكذلك الحال في العين التي يرسمها حيث يترأى له أنها جميلة . فهو ليس عجراً من الفنان الفرعوني عن محاكاة الطبيعة ، والأهم من هذا العجز في صناعته للتماثيل التي راعى في نحتها أقصى درجات المنطق والواقعية ؟

أما عن عدم توقيع الفنان على رسومه فذلك يرجع الى أن الفن الفرعوني كان مدموغاً على الدوام بالطابع الديني ، وفي مثل هذه الظروف جدير بشخصية الفنان الفرد أن تذوب في الشخصية العامة لفن عصره

وقالوا لي كلاماً آخر سمعته بنصف أذن . وذلك لأنني خاليت بعض مصصة العظام وشظط النخاع من جوف الساق الأخيرة للحمامة

والى حديقة الفندق انتقلنا لنهضم ونتفلسف ، نسومات الليل الرحلة نغت آخر احتمالات الخدمة السياحية التي أريد أن أؤديها عن طريق دوخان السائحة ، وادار منير أسكندر جهاز التسجيل فانبعث منه صوت مطرب الصعيد ، أبو ليلة ، بأغنية صعيدية حزينة .

من الفلس باداري بكى ... وما دام ظلموكي وضربوكي  
حرم علينا دار بوكي !

وهناك عند الأفق الشرقي عبر الحقول الفسيحة أطل قرص القمر صاحباً مستديراً ، نفس القمر الذي سطع منذ آلاف السنين على مسيس وحشيشسوت والتبيل نخت والعازقات الثلاث . فأحسست جأة بأنني أنسلخ عن جلدي وأتحول الى ذلك الرجل نخت ، ضطجعا على الأريكة أشرب البيرة التي علمتني كيف اصنعها اوزيريس . وأمامي تقوم العازقات الثلاث بالرقص والغناء . نعم انني بنيت عقبرتي وهيات نفسي للموت ، لكنني أعرف انني يجب تيل ذلك أن استمتع بالحياة

وبينما تعزف على المندولين تقدمت مني في دلال فرعوني سمكر ، البنت الوسطى السمراء التي لا أعرف لماذا يذيل الى أن اسمها نفر ، والتي لا تلبس من صنوف الثياب سوى حزام لا أدرى ما انتفاعها به . اللهم الا اذا كانت تلبث ثوباً أشد شفاقية مما ينبغي لأنثى حتى ولو كانت في الأوبرج . يدلال تعزف وتتمايل وتنتنى . تنشد أغنياتها وهي تذيب قلبي بنظرة هائلة زرقاء

أنا اختك الأولى ... أنا لك كالحديقة التي غرست فيها الأزهار ..

فأنتهد وأجرع البيرة في انتظار المزيد  
أما تهب ريح الشمال وطيباً ... في المكان الجميل الذي أصير فيه ويدي في يدك ... قلبي يفيض سروراً  
لعمرك ذلك أصرخ من الأعماق قائلاً يا وعدى ! أعد والنبي أعد !  
يا فرعوني يا حلو أنت !

تعيد لتسكركي ، ثم تسترسل مفشدة

أنا سماع صوتك يسكركي ... واني أعيش لكي اسمعه  
وعندما أراك يكون ذلك أشهى من الطعام والشراب  
فأهتف من جديد يا وعدى ، وألقى على الأرض من فرط الفسوة ما يتصادف أن يكون على دماغى من غطاء فرعوني



- صوت اليعازر يتحدث الى في الفجر ... ليس في نيتك الخروج ؟ لا ايتها اليعازر لقد وجدت اخي في فراشه ... اتى اسيرة حبك ... قبلتك وحدها هي التي تمنع الحياة في قلبي ..  
وعندما انالها سادعو امون ان يحفظها الى الابد

فاهتف ينصر ديتك يا امون ! وارفض بقدمي برمبل البيرة لكي ينسكب على الارض ويسكر النبات والحشرات وكل شيء حي . ثم اقوم مترنحا لكي اضم الفتاة فتصدني بالماندولين وتواصل الغناء وثمة نظرة في عينيها فرعونية مأكرة  
- كل ما يريد قلبي هو ان استولي على كل اثارك كسيدة لعنزاك  
وذراعي في ذراعك !

يا بنت الذين ! هي وصلت لاثاث منزلي ! يا اخي جك قطع ذراعك ! واعيق لنفسى وقد تكتشفت لي مواياها الحبيبة . وارقد من فوري الى كاتب هذه السطور . الا ما اتعس ذلك الجشع الازلي الذي يملأ نفوس النساء ، وما اتعس ذلك العنصر الاقتصادي الذي ما برج طوال التاريخ يتدخل في الحب بالاقصاد .  
ويعود الصوت صوت ابو ليلة . في اغنيته الصعبدية الحزينة . وتتلاعب السانحة الامريكية وتنهض متجهة الى حجرتها وانا في انرها اصيح :

- اذا داخت بالليل اندهوا لي اشيلها !

ويرتفع القمر في سماء الاقصر فضيا لامعا ينعكس ضوءه في جلال على تعدلي معنون الجالسين منذ الازل يحرسان حقول القمح . فأتصعب وأتهد وأعجب من نفسي أيام زمان . وعندما كنت أنفر من الفراغة وأبغضهم وأخشاهم . متأثرا بما قاله لي مدرس الدين من عبادتهم للآوثان وعن ابدانهم لكل من موسى ويوسف . وبما اقرا في الصحف عن لعنتهم التي تصيب الابد . فكان لزاما علي ان اقرا تاريخهم بنفسى . وان اقرا تاريخ الاديان المختلفة كيف تشأت وكيف تطورت . وذلك لكي اكتشف مدى الدين الذي تحمله البشرية في عنقها لاحدادي العظماء . فالتوحيد نفسه

سمع اخناتون قبل ان يقول موسى كلمته . ان شق موسى النهر .  
سواء لكي ينقذ اسرائيل من بطش فرعون . ما أشك في أنه لو كان بما يضمروته لتردد قبل ان يشق النهر أو لشقه وعبر وحده  
ياهم يفرقون !

لمجد لامون والمازفات الثلاث ووداعا يا ارض الاحداد !



الرجل الجميل

شاهد القمر يا نفسي !!

## فى سفينة نوح

بين النوم واليقظة ساورتى شعور غريب بأن السريور يناوِج  
بى ، وأن جدران الحجرة نفسها تتمايل ، ومستبعدا فكرة أن يكون  
طغح المجارى بمنطقة الهرم - حيث أقيم - قد تحول إلى بحر تطفو  
على سطحه الميوت كالسفن ، تذكرت فجأة اننى فى سفينة حقيقية  
قضيت فيها ليلتى ضمن الرحلة التى نظمتها جمعية الادباء الى  
البحر الأحمر ، السفينة عابدة ٢ بقيادة مرشد علام

سريور فوتى يضم رجاء النقاش ، وسريور بامتداد سريورى يضم  
محمد صبرى ، لو أننا أطول بعض الشيء - صبرى وأما - لامتدت  
ساقاى فى سريريه وامتدت ساقاه فى سريورى ، ولوجدنا نفسينا نغام  
خلف خلاف ، وفوق صبرى سريور رابع يضم بهجت عثمان ، وشخيره  
المتقطع ايقاعا لا بأس به للدوى المتواصل لموتور السفينة ، وذراع  
منه - من بهجت لا الموتور - تتدلى من السريور وتكاد تلامس صلعة  
صبرى ، وموقفنا كله اسمه بصورة كاريكاتير مريشة الرسام النائم .  
لاشك أن السريور العلوى أحسن من السفلى ، ولكن الأخير أنسب  
لرحل مثلى ينهض فى الليل عدة مرات لكى يدعيس فى الظلام  
على زجاجة نطق الانف أو على المنديل أو على سيجارة يسلى بها  
نومه

وضوء عود الكبريت يقول لى أن الساعة الخامسة والنصف ،  
فلأنهض سريعا قبل أن تتحرك السفينة من رصيف ميناء السويس  
وقبل ذلك بالطبع يجب أن اغسل وجهى .

( ٢ )

الحنفية خسرانة ولا ايه ؟ لماذا افتحها لينزل الماء ، ثم أرفع  
عنها يدي فتثقل وحدها وينقطع الماء ؟ كلا هى ليست تالفة ، بل



رُغِي بأن . أرغى . الصابونة بيد واحدة فقط . فتطلع رغوة هائلة  
وحس بها وجهي والاسم اننى لحسلته . لكنها معها كانت أحسن من  
ينفذ الماء من خزانة السفينة وتضطر الى أن تشرب من

ومن خلفي سمعت صوت اصطدام شيء بشيء آخر أصليد  
« . والتفت لأرى محمد صبرى وقد وضع يده على رأسه الذى  
نخم بسرير بهجت أثر محاولة مفاجئة للنهوض . فلعله داخ من  
صدمة والا فلماذا انطرح ثانيا وعاد النوم ؟

هواء البحر رطب منعش . انعشنى والله حبث وقلت وحدى على  
سطح السفينة . لنا وعدد من البحارة الذين يلقيون بالحبال الى لنش  
« مقدمة السفينة وآخر عند مؤخرتها . وهما اللشطن اللذان  
يجذبان السفينة مبتعدين بها عن الرصيف . إذ انها لا تستطيع  
تعتمد على محركاتها فى هذا الحوض الضيق .  
عشرة عمال لاغير يتولون تحريك هذه الكتلة الضخمة بكل ما  
بها من ناس نيام . فبورك فى اليد العاملة وفى الناس الذين  
سحون مثلنا بدرى

فى عدوه ورشاقة واناقة تعتمد عابدة عن رصيف الميناء . خيل  
لى لشدة اناقتها انها تتفتح فى كبرياء . والكل نيام الا انا . ما  
نت اعرف أن نوم الادياء ثقيل بهذه الدرجة . فحديري فى اللبلة  
« مة . لكنى ابدو فى الصورة الادبية اللامعة . أن أخذ قرصين  
الليبريام .

وأخيرا خرجت عابدة ٢ من الحوض الضيق . فشغلت محركاتها  
ادات تمخر - كما يقولون - عباب البحر

الحرسون الاسمر عم عبدالعزيز بطرق بقطعة من الحديد قرصا  
النحاس . هو . الجونج . الذى يعلن للركاب ساعة الانطار  
قلت لنفسى اننى ماضت أول الصالحين فلا بد اننى ساكن أول



منى العارده كثرش ... طبه والنبي من مكة السيد لبيب

انها فى اغلب الطن حيلة متعددة لارغام الركاب على الاقتصاد فى  
الماء . وهى والله فكرة لا بأس بها ابدا . فليتهم يطمقونها فى  
حافيات المنارل بالمدن . هذا وأن كانت مزعجة بعض الشيء إذ

المفطرين . لم اكن اعرف بعد ان الاول فى هذه الناحية لا يمكن ان يكون سوى الشاعر كمال عمار

هناك رايت يجلس وحده فى المطعم لمصبت عليه وجلست قبالة . وجلان جانعان ينتظران وصول الطعام . كان يجلس عابسا لسبب لا اعرفه . وقجاة رايت يبتسم لشخص يراه خلفى . ابتسامة عريضة فرحة شاعت فى الوجه الذى كان عابسا . ونظرة غرلة رقصت وراء نظارته . فاهقنت انه راي اننى من ركاب السفينة والتفت بسرعة خلفى . لكنها لا كانت اننى ولا كانت لثانته . وانما كانت عم عبدالعزيز يحمل صينية الطعام ! لمدهشت ولم اعلق بشئ . اذ لم اكن قد عرفت بعد ان كمال عمار يشتهي الطعام بنفس الطريقة التى اشتهى انا بها كلوديا كاردينالى . وانه لو خير بين ساق المذكورة ذات الفمازات الثلاث وساق فرخة لفضل الاخيرة ووظف فى الفمازات

فى صمت مقدس تناول السكين وراح يفرغ به من الزبد ويكدسه على شريحة توست . فبينما هو يقضمها تراءت فى عينه نظرة صوفية غامضة . وخيل الى اننى استمع الى صلاة بعيدة يرتلها كورس من كهنة امون . ثم عصر انليمون على الفول المدمس ورش الملح . ثم قشر البيضة المسلوقة ورفعها الى انفه ليشمها . اكاد اقسم انه قبل ان يقضم منها طبع عليها قبلة حنان . ومشيرا الى الصحن الآخر الذى ترقد فيه اربع كرات من لقعة القاضى نظر الى عم عبدالعزيز قائلا

- تاخذ اثنين من دول وتجب بيضة !

فابتسم عبدالعزيز ومضى فى طريقه . وانكب كمال - على صحن الفول ملغما ينكب عريس على عروسه فى ليلة الزفاف

( ٥ )

السفينة فى عرض البحر الذى لا يلزمنى بالطبع ان اتل انه اذيق . فلست ادري أين طلعت عليه تلك التسمية الغريبة مانه محر

٥٦

احمر . فلعله كان احمر ذات يوم ثم اذيق بسبب او آخر . مثل البحر الذى كان ابيض والآخر الذى كان اسود

لكنه على اى حال - احمر او اذيق - كان متعة للعين والقلب . وهواؤه والله ولا الاربيع . والموج بجانب السفينة يرقص فى جنون . وفى رقصه يرسم بالزبد الابيض الالما من التشكيلات والنقوش الرائعة . كائننى انظر الى نفوش على ثوب من القماش المستورد الذى يباع للاعتياد فى محلاتها - معذرة اعنى ا - نو

وانغام جميلة تنفخ فى اذنى من بعيد . مقطوعة من النكوشوتو الايطالى لطيب الذكر باج . تعزفها على البيانو اصابع ماهرة ربما كانت اصابع المرحوم روبنشتين - ولاديه لسه ماماتش ! فاسرعت نحو مصدر الصوت لكى اكتشف انه ليس راديو . بل ان فى السمينة ميانو اسود اللون عتيقا . وامامه حنطة رشيقة سمراء فى عشر يدياتها . هى التى نجحت فى ان تنطقه بيديها الصغيرتين بكل هذه الانغام . ساكت من تكون فقيل لى انها سونيا يس . أخت رمزى يس الذى يقال انه اجدع عازف بيانو فى مصر . ويبت الدكتور ناجى يس

الاصابع الصغيرة اسمرء يعرف كل المماتيج وثلاثهما التهاما . اصابع البنت التى تخرجت اخيرا من الكونسرفتوار فكائننى ارقب فيها كائنا من كوكب آخر . انا الذى لم اُنجح طوال حياتى فى ان انطق البيانو بشئ سوى السلام الملكى . وبصباح واحد طبعاً !

ولاشك ان الدكتور ناجى يس احد اولئك الابهاء الماديين الذين نجحوا فى تربية اولادهم

- تبتاننى يادكتور !

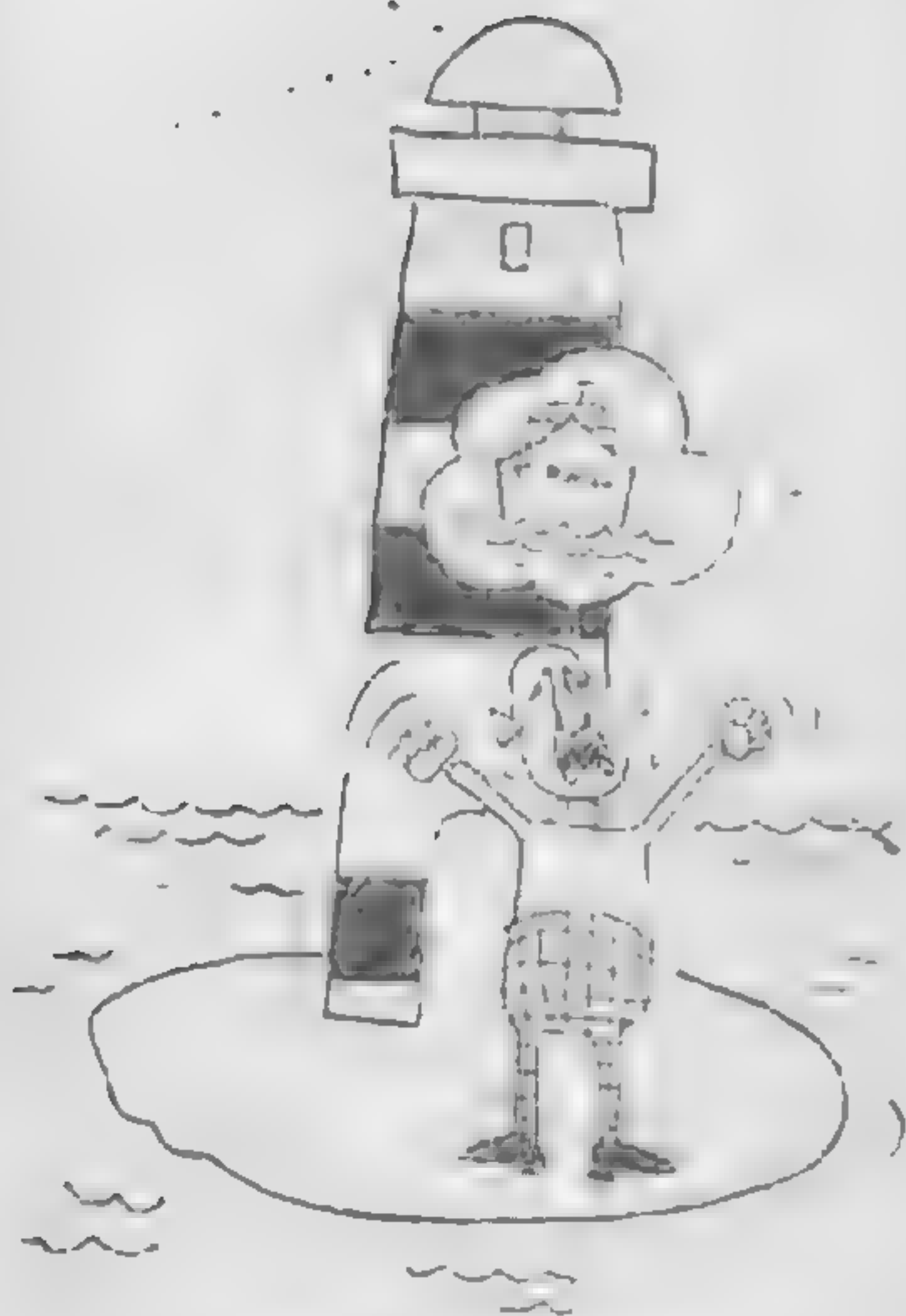
فكذا سائته فابتسم وصوب الى كاميرته ليرسمنى صورة . الكاهنوا الثمينة التى يعلقها فى عنقه وتتأرجح طول الوقت على طبيب العيون ورئيس جمعية التصوير الفوتوغرافى وايو



السفينة تضرر كما يقولون ، السيد ، زهير زكي ، من سيدنا  
 جلس الشاعران أحمد رامي ، وصالح جدي ، في مجلس في ميلة  
 هي في أغلب الظن من المحر الطويل ، وفي ناحية أخرى جلس  
 رهاه المقاني يقرأ ، وإمامه يوسف الشاروني يقرأ ، يفتان صفحات  
 الكتاب وكأنهما في مباراة اطلاع ، فالنقاد كما تعلم يحب أن يقرءوا  
 الكتب قبل أن ينفذوها ، وإن كنت أعرف نقادا يفعلون العكس ،  
 وسألتهما في الغرامة الدكتوراة نعمات لؤي ، والدكتور عفيفي محبو  
 ، فالحمد لله إن الدكتوراة يملكون أن الدكتوراه ليست آخر صيغة  
 في العلم

[illegible]

وفي ذي الحجة عظمى سنة ١٢٠٠ هـ  
 الحظيعة واسطى  
 هي قرية اورد  
 سنة ١٢٠٠ هـ  
 الا انهم  
 في سنة ١٢٠٠ هـ  
 على  
 في سنة ١٢٠٠ هـ  
 في سنة ١٢٠٠ هـ



وہابیہ کے بارے میں ایک مابعدہ



وه طعم عشاق يعطارد به « العرش »

محاولا ان يعوض العارس الذي سحبه عنيه عبيدك الطوخى ، ولا محمد صبرى عن اللب بالتاميرا هما وهناك كالمحلة يلتقط الصور . بمافه في ذلك انذمتور ناحري وحلمى مراد والرجل النائم ما وان نائما . والآخر الجميل مازال يبتسم للفضاء ، والسفينة كما يقولون تمخر عباب البحر . أين جمال كامل .

( ٧ )

هو فى صالون السفينة مشغول بتصوير فتاة لطيفة يصباء وظيفتها مهندسة كيميائية . فلماذا لا يكون التصوير على سطح السفينة فى التور ؟ لانه يا جافل - كما قالوا لى - لا يوجد فى البحر تنوع فى الظلال . وما قينة صورة بغير ظلال .

فوقفت فى صمت أرقب الموقف . اذ ينظر جمال الى الورقة فلم طوله ثلاثون سنتيمترا بحرى عليها بخط او خطين . ثم يلتفت الى الفتاة بسرعة لبوحه اليها نظرة صاروخية خاضعة . خط ونظرة خط ونظرة . بدأ وجه الفتاة ينتقل كالسحر الى ورقة جمال كامل بلعل هذا هو السبب فى تلك التطورات التونية التى ما برحت تتعاقب على وجهها الابيض الخجول . اذ يحمر مرة حتى يشبه قلب بطيخة سبلبان . ثم يهدأ لونه ويصبح بعبه . ثم يصبح بعبه مسخن . توطئة لان ببيض بشدة وكأنه غسل بأومو . هذا بالاضافة الى الضحكة اللا ارادية التى تنفث منها بين الحين والحين اذ ترفب نفسها لحظة بلحظة وهى تتحول من بنت الى صورة فبينما أنا أفرج على المنظر شعرت بالحسد للرسام بصفته الفنان الوحيد الذى يباح له ان يربط الفتيات أمامه بهذا الشغل . بعكس الكاتب الذى كتب عليه ان يرسم كل صورة من الذاكرة وهى نزوة تمرد اخرجت من جيبى نوتة وقلما وجلست امام الفتاة قائلا فى الغراء

- تسمى لى أقعد قدامك واكتب مقالة

- فقالت لا

- مرضه لا

- طيب قصبدة

- لا يعنى لا

فتشهدت وغادرت المكان . من بعيد وقفت أرقب المنظر وأنا من حديد اشعر اننى أمام كائن من كوكب آخر . اما الذى لم انجح ملوأل حياثى فى ان ارسم أى شىء سوى صورة قطة . وحتى هذه الصورة لا تنجح فى اقتاع الناس بها ما لم اكتب تحتها - مع سهم موجه اليها - انها قطة

( ٨ )

عابدة خففت من سرعتها فجاءت ثم وقفت . والسبب هو ذلك الفئار البعيد الذى ينتظر التموين . لنار لى عرض البحر مبنى على

كتلة كبيرة من الصخر الأصفر ، نسيبت أن أسأل من أين أتوا بهذا الصخر وكيف بنوه . أسطوانة طويلة مخروطية تقف وحدها على وسط البحر ، مخزومة بالاشربة الملوحة مثل سيارات القطاع العام ولكن على أدق طبعا . وفي أسفل المسلة العجيبة انتفاخ كبير ، وفي الانتفاخ ثقب هو الفؤاد التي يعيش وراءها عدد من الرجال النادرين . فلا شك أنه رجل قادر ، ملك الذي يقبل وطيفة من الفئار حتى ولو كانت من الدرجة السادسة العبة . شهر بعد شهر لا يرى سوى البحر والسماء والبواخر العابرة التي تتحاشاه وتفر منه هراس السليم من الأحراب . يتذكر الدنيا ولا يراها ، ويتحيل الأشياء ولا يلمسها ، ويحلم بالثعوبين المقبل ولا كمال عمار .

وانزل من السفينة لئلا يدعوا بكدمو . فيه الركائب والصفاديين التي تضم عداء الأسابيع المقلدة ، وحطوط ماء أدلى من السفينة ليعلا خرائنا خاصا في اللش . وأنا انتهر هذه الفرصة لكي أقدم إلى كافة دور الصحف ودور النشر ما لاقتراح التالي . مارايكم في إرسال كافة مطبوعاتكم الدورية وغير الدورية مجانا لأولئك الرجال الذين - كالشموع - يضيئون للناس وهم يحترقون من الوحدة . لا شك أنه اقتراح سليم أرجو أن يطلق بسرعة - اللهم الا اذا كان مطبقا فعلا وأنا لا أدري

( ٩ )

- قرش قرش قرش

صرخات عديدة وحشية ترددت حولي بتلك الكلمة ، تصرخت انا في لهفة أقول  
- فين فين فين -

واحميت على الأرض اسحت عن القرش السمكة مدور حموي ، انه اكتشفت بعد حين انه ليس قرسما مما هو على . باراه سمكة من اسماء القرش التي يسميها البحر الامير . فاهت وباهت اشارات الاصابع الى السماء

٦٢

بقعة خضراء تتوج تحت سطح الماء ، شبه علامي اخضر لكائن يتلعبط في البحر ، ملك من ملوك الاعماق القامضة ، وعند مؤخرة السفينة كانت هناك وليعة تليق بالسك . كتلة كبيرة من اللحم رشقت في خطاف السنارة التي علمت انه مصنوع من الصلب لزوم اسنان القرش

البقعة الراقصة الخضراء تقترب من الطعام وتشبع ثم تبتعد ثم تقترب وتبتعد ، وصمت رهيب خيم على كافة ركاب السفينة في انتظارهم المتوتر للحظة الحاسمة - كافة الركاب الا الرجل الثائم بالطبع ، والآخر الجميل الذي صوب الى القرش بسمته اللوحة وخيل الى انني اسمعه يقول له

- شايك ياقرش انا حلوا ايه ١٢

وكمال عمار واقف بجانبى وهو يبتلع ريقه قباعا ، اذ انه في اعلى الظن بحسد القرش على تلك اللحظة التي يطلق فيها على كتلة اللحم فكاه

- هيه ا هوه ا هاه ا

صرخات الفرح الوحشي وقد انطلق الكائن على اللحم والخطاف ، وشرع المحارة بعدد من القرش ليبرروا راسه فوق سطح الماء . ويبرز الرأس المذكورة انهالت عليها العصي الطويلة الفليضة بالضرب السميت ، وذلك لان القرش ليس من الاسماك التي ترفع الى سطح السفينة الا بعد ان تسلم الروح تملأ ، وضرب ضربة طائشة من ذيله السميك تكسر رجل العدو

ودارت الحبال على بكرة من الصلب لكي ترفع القرش الذي مات ، ما هي الا لعظمت حتى كان يتعد على سطح السفينة وسط صيحات الانتصار . فادهشني مدى ضخامته ، وادهشني اكثر من ذلك انه اسود اللون لا اخضر ، فالألوان كما تعلم مسألة نور وظلال . ثم رفعوه وعلقوه من ذيله وبدأ مهرجان التصوير ، كل رجل في السفينة يريد ان يقف بجانب الفريد ويصور معه في هيئة انتصار ، والدماء تصيل من راسه المحطم وتفرق ارض السفينة

٦٣



الكائن العاقر الذي مات في سبيل قطعة من اللحم

ثم تبين أنهم لم يصيدوه وانما صادوها . ان انها - كما قال  
السحابة - اننى لا اذكر كيف عرفوا ذلك لا ادرى . والمهم انهم  
ادلوا الحظاف في البحر بكثرة جديدة من اللحم . ان السيد  
الروح - هكذا قالوا - لم يلبث ان يفتقد روحه ويحضر للبحث عنها  
فيلقى نفس المغمير . حاجة كده رى يانعش سوا بانعوت سوا

لكر شيئا من ذلك لم يحدث . وساعة كاملة مرت دون ان يصل  
القرش الحزين . فلابد ان ليس حزينا بالقدر الذي تصوره . وربما  
كان في هذه اللحظة واقفا يرفب المنظر من بعيد . وبجانبه قرشه  
حية بقرصها في ذيلها ويقول لها باسمها وهو يشير الى زوجته  
المعلقة

- الذبابة مفيدة . هه

رب في الاسماع صوب الحويج فالتحها الى المنضم . ومن عند  
الباب راينا كمال عمار قد سبقنا الى العائدة وراح يحول نصف  
السلطة في صحفه الخاص . فاسرعنا لننظم حوله قبل ان يوال  
الاول . وابتنسامة عريضة لمعت على وجهه عندما اكتشف ان غداء  
اليوم فيه فراخ

- صدر من فضلك

هكذا قال لعبد العزيز وهو يواصل الابتسام . ثم راح ينظر الى  
الصدر الرافق على صحفه وكأنه لا يصدق عينيه . ثمينة لان يمد  
نحوه يدا مرتعدة ليطلب عليه في حس

قال نهجت وهو يرقبه

- ده موش ح ياكل الفرخة ... ده ح متحوزها

فضحكنا وعكفنا على الاكل بالشراقة المناسبة للبحر الاحمر  
وبينما اكل لمحت الرجل الحامل حيث نمت من دحاخه الخاصة  
بعمرها ما ينسامة اللوحة . ان

- شايقة يا فرخة ما اعلم ان

لروح بعمره حولنا سمعا السفينة - كما يقول - تمخر عمار  
حر . حتى ليحبل الى ان البحر هو ادى يحضر عمار السفينة  
ياح اشد عريضة من الموح . في سكرة مفاجئة للماء والسماء  
البحر الاحمر . هي قطعا سكرة من سكرات الطبيعة والا فكيف  
با انها تطلق راحتى حيث جلست على الدكة الخشبية الخضراء  
في السفينة عابدة ٢ . متارجحا الى الامام والى الخلف كانتى  
ك بدلا من السفينة جملا

وامامى صار الشاعر احمد راسى مترنحا عن سكرة الطبيعة .  
خملو خطوة الى الامام واثنيتن الى الخلف . رافعا في الهواء  
اعين حائرتين تحاولان التثبت بأشياء غير موجودة احد  
جل من الركاب اقبل هو الآخر مترنحا ووقف بالقرب منى . بحصه  
ح يتاملنى بعينين غريبتين ثم تقيا . فتركت له المكان وم

مد كفاح شاق في السفينة المتارجحة - على دكة اخرى . ثم لم  
دقيقة حتى اقبل رجل ثان ووقف هو الآخر - مترنحا - بصور  
في نفس النظرة الغريبة توطئة لان يتقيا . فتركت له المكان ووقفت  
مد سور السفينة متشبثا به كى لا تقع . وقع بصري على رجل في  
طابق السفلى يمد رأسه الى البحر ويتقيا . فالحمد لله ان هذا  
رجل - الذى تمنى - لم يكن يرانى أصلا الا لأخذت الامر بوصفه  
برها عاما من شخصى انا

وبينى وبينك لمست افهم لماذا يميل الناس الى التقير عندما  
تارجح السفن . واذا كان القىء ضرورة فلماذا لا اتقيا انا ؟  
بخيل الى انهم يفعلون ذلك لمجرد انهم قرموا عن القىء بوصفه  
ماهرة من ظواهر دوار البحر . وانهم لا يريدون ان يبدووا اقل من  
سائر الناس علما بالثقيليد البحرية . اولعظهم طائفة من الوجوديين  
ذين ارادوا ان يقتنموا فرصة العاصفة لاستعراض شيء من  
غشيان العبتاميزيلى

ولعله أدرك أنه ما كان يجوز له أن يسرف هذا الصباح في استخدام البريانتين ، والا لا يمكن للرياح أن تخلق خصلة من شعره وترسلها على جبينه لتزيده - وهي تتطاير - جمالا لكن البحر فيما يبدو أنش لا ذكر ، والا فما هذا الهدوء الذي بدا يسرى في كل من موجه ورياحه ، وما ياله - كما غضب فحاة - يوشك أن يضحك فحاة ؟

(١٢)

والسفينة نفسها هدأت من سرعتها ثم وقفت ، لكي تمنون بالطبع ذلك الفئار القريب الذي قيل لنا أنه مبني على جزيرة طبيعية من صخور المرجان التي ما برحت تتكاثر وتتراكم وتتماسك عبر مليون سنة وأكثر

مسلة بعيدة تقف هناك وحدها ، هي نقطة المركز من دائرة خضراء في وسط البحر . البحر كله أنفق بلون اللازوردي أن كثت تعرفه ، وبلون زهرة القسيل التي لا أشك في أنك تعرفها ، إلا تلك الدائرة الصغيرة الخضراء في وسط البحر حول الفئار . خضراء بلون الفيروز وبلون عيني قطتي بوسي . وذلك بسبب ما يكمن تحتها من صخور المرجان ، وبسبب أن الألوان كما سبق لنا القول مسالة نور وظلال

ومن السفينة أنزل لنش هرعنا اليه وتكدسنا فيه ، وانطلق بنا نحو الفئار طالعا بفعل الأمواج ونازلا ، ورياح الماء بتطاير وبيل وجوهنا وثيابنا فنصرخ ونضحك كالعيال

وهناك في بلكوته خلفية للفئار وقفت وحدي أمام أجمل منظر رأيته في حياتي ، البحر العريض الأزرق المحيط بي من كافة الجهات ، وفي وسطه - تحت مباشرة - تلك الدائرة الصغيرة الخضراء ، والسكينة التي هي سكينة ، والنسيم المسكر ، واحساسى بملايين الكائنات التي تعيش في تلك المياه الخضراء ، فشعرت بدموع تريد أن تترقق في عيني من قرط التأثير ، لكنني كمحنتها بالطبع لكيلا يغيم زجاج السطارة . فليت احدا يدعوني لكي



فئار - عارلة - أموش - المراج - أحد المسد

لكن شبيها من كل تلك النضحة لم يمحج في ايقات الرجل الساتم فهو دائما يبدو محتاج في ايقاته الى احراءات أشد ماعلية من محدد عاصفة على البحر الأحمر والأحمر الجميل حائل بالقرب منه وقد أعطى وجهه للرياح ، لمسة غير مألوفة من المرارة تشوب ابتسامته وكأنه يقول للعاصفة

- اخص عليكى يا عاصفة .. موش عارلة اسي موجود في المركب

دري ١٠

افهم في ذلك الفناء اسبوعا . وان كنت واثقا بان الدموع التي  
سأكتبها في نهاية ذلك الأسبوع هي دموع السجين الذي يصيح  
قائلا انا مظلوم

وعند الخط الفاصل بين الدائرة الخضراء والمربع كان لزاما  
عليهم ان يشدونني شدا لكي اركب الزورق العائد الى السفينة . فهل  
رايت في حياتك خطا يفصل بين لونين في الماء ؟ هل رايت ماء  
نصفه انيميل اخضر . ونصفه الشمال ازرق مع انهما في وعاء  
واحد ؟ وهل رايت هذا الماء الاخضر ينمو نحو الازرق فيريق . ثم  
ينسكب الازرق نحو الاخضر فيخضر . مع وجود خط متعرج وهمي  
قلتم الى الابد بين اللونين ؟

(١٢)

بين النوم واليقظة سمعت صوت جسم صلب يرتطم بجسم  
اصلب منه . لا بد ان محمد صبرى قد صعدا من النوم . فليدوا ان  
صبرى لن يخرج من هذه الرحلة يلير عافة مستديمة في راسه .  
دعك من الاصلاحات التي يجب اجراؤها في حافة السرير العلوي  
حيث ينام بهجت

ومتناشدا مددت يدي تلقائيا نحو مكتة الحلاقة لكسى مايرجس  
ان رددتها قائلا لنفسى ليه تحلق ياواد ؟ اننى في القاهرة احلق  
لحتى مك يوم على سبيل المجازاة للرسميات . ولكنى ابدو - في  
حدود المستطاع - جميلا ... لكننى وانا هنا في عرض البحر لماذا  
احلقها ؟ ماقيمة الرسميات لو هبت عاصفة اخرى قلبت بي

السفينة . وما الفرق - بالنسبة لجة تدفعها الامواج الى الشاطئ -  
بين ان تكون تلك الجثة حلقة او بلحية ؟ واما عن الحمل عند  
انتقاعى به على ظهر سفينة كل اناتها محجوزات من سفنات .  
ومهما كنت جميلا فلن اكون في النهاية اجمل من الرجل الحمل  
خراطر لا اظنك تجادل في كونها جادة وعميقة . ولذلك ما كنت

افضى بها الى صبرى حتى وافق عليها لفوره . كما وافق عليها  
جمال كامل الذي تصادف ان يدخل علينا في تلك اللحظة . فسرعان  
ما عقدنا معاهدة ثلاثية على الانحلق لحانا طالما نحن على السفينة  
عابدة ٢

(١٤)

دق جونغ الغداء فنظرت الى كمال عمار وهو يستلم ريقه . ولا  
ادري لماذا تذكرت العالم الرومى بالفلوف . وعلى العائدة تبسم  
كمال في حنان للحرسون العابر بوعاء البامية . فانهذب الرجل  
للابتسامة واقبل نحو كمال . من غير ان يساله ماذا يريد افرغ في  
صحفه كبشة اضافية من البامية

وبعد حين فرغ الماء من الشمشق الذي على مائدتنا وكان  
الحرسون بعيدا عنا فقلت لكمال

- ما تبسم له علشان ييجى ا

فزعر لى في استنكار وقال

- اما ابتسم له ع البامية .. ابقي ارقص له ع الرؤ ؟

فضحكنا بما يتناسب الموقف . وترامى الينا صوت تكشف لما  
منه ان الرجل الحميل ليس جميلا لحسب وانما هو دقيق ايضا . اذ  
سمعناه يقول للحرسون في لهجة احتجاج وهو يشير الى ورك  
الفرجة الرافد على صحفه

- ايه ده . جايد لى ورك شعاع

(١٥)

الساعة الخامسة عصرا . من ساعة كاملة وهي تشير الى  
الخامسة . والسفينة واقفة لزوم الانتهاء من تموين هذا الفناء  
الجديد . لم اكن اعرف ان الفئارات في البحر الاحمر كثيرة بهذا  
الشكل . وان تموينها يحتاج الى كل هذا الوقت . ولذلك قلت  
للقطبان عندما سألنى ان كانت الرحلة ماشية :  
- الرحلة ماشية لكن المركب واقفة





ويسأله عن السبب قال ان صوت الموسيقى يفسد عليه صوت  
شخصية الزهر وفرع القشطات على خشب الطاولة  
- تحب تسمعك حاجة ثانية ؟

فأجلب بالنقى ، لا لانه - كما شرح لنا - لا يحب بيتهم  
فحب ، وانما لانه لا يحب الموسيقى كلها . اه ، وتركها ومضى .  
وصوت ملاهى . لام كلثوم تراسى الينا من راديو اخر ادارته احدى  
الأسسات فى الركن البعيد من الصالون . ذلك الصوت الذى هيج  
عليها حملة جديدة من المطرات الشراء التى يصوبها الينا الزميل  
صالح حودت . وما لمت ان نهض بدوره واقترب منا قائلا فى لهجة  
لوم وعتاب

- يا جماعة . يا جماعة ! ام كلثوم بتغنى ومدورين الكلام ده ؟  
وكثر فى مطفه لكلمة ده ، كمية من الازدراء اطارت ابدينا الى  
البك اب لكى سكته . مع احمرار فى وجوهنا بسبب ما شعرنا به  
من مدى فساد ذوقنا الذى جعلنا نهمل ام كلثوم فى سبيل تلك  
الضجة السيطونية

(١٧)

مرد الكهرياء وضلال النيل على ظهر السفينة جذبا قلم جمال كامل  
الى ورقته وجلس بالقرب منى لكى يحولنى الى صورة - نظرة منه  
كالسهم الى وجهى ثم خط فى ورقته . ونظرة اخرى ثم خط . احس  
كانه يقشط . اللحم من وجهى ويلصقه على الورقة ! فذكرت  
البنات البيضاء وعذرتها . اذ احسست بوجهى انا الاخر مرة يحمر  
ومرة يبيض . وعميق ساق بلل جببنى . خاصة وان المنظر اعجب  
ركاب السفينة كلها فاجتمعوا حولنا يتفرجون . فى عيونهم اعجاب  
واضح بالصورة وانكار اوضح لموضوعها ! اليس حراما ان يضيع  
الغزل العبد كلاً من وقته وصاح قلعه - دعت من الورقة - فى  
رسم صورة لوجه العبد لله ؟

لكنهم يقولون ذلك بالطبع لانهم لم يروى بغير لحية طويلة .  
فاسمعهم الله حيث انهم لا يعرفون ماذا يفعلون . ومثل ما اعتدى من

الكانيات البرود واصلت جلسة الموديل امام جمال كامل . بل اننى  
لم انس فى بعض اللحظات - وانا اتسنع فى كبرياء - ان اوسم فى  
عينى الناظرة الى ظلام البحر نظرة فلسفية حالمة

(١٨)

الساعة التاسعة وناقوس كمال عمار يدق - معذرة ناقوس  
العشاء . فنهض الجميع للأكل الا انا . وهو ما يثبت اننى انا الآخر  
اعتبر فى بعض النواحي - وخاصة ناحية هذا العشاء المبكر الذى  
حاول نظام السفينة ان يرغمنى عليه - كاننا من كوكب آخر . كل  
اناس يجوعون فى الساعة التاسعة الا انا . منذ عشرين عاما على  
الاقل لم اجمع قبل منتصف الليل . ولذلك لن اقوم للطعام . ولن  
عرض نفسى لما قاسيته بالامس عندما ارغمنى الرفاق على ان  
اخضع معهم لحكاية العشاء فى الساعة التاسعة  
اذا جلست الى المائدة وابتلعت محتويات طعنة من الشورية  
ماحسست للفر بكرة غريبة فى جوفى . وخيل الى اننى اسمع  
صوت معدتى تقول لكبدى فى دهشة

- هي صاغتك كام ؟

- اظن تسعة .

فكذا اجابتها الكبد وهى تتعاب . فسمعت صوت يد المعدة وهى  
تضرب على صدرها قائلة

- ياندامتى ! امال ايه الشورية اللي نازلة فى دى ؟

- شورية ؟ شورية ايه ؟

- شم !

فاحسست بالكبد تتشمم الحو حولها توطئة لان تقول

- ده صحيح ! الراحل ده اتجنن ولا ايه ؟

وبابتلاعى اول قطعة من اللحم زاد ما فى جوفى من الهرج  
والمرج . وصرخة بانسة من معدتى وهى تقول

- دى عوش بس شورية . دى لحمه كمان !





يلاش ومتحسسا لحييتي الشاكة التلت الى فتاة تقف بالقرب مني  
وقلت لها

- يا مدموازيل .. تسمحي لي أسألك سؤال بس تجاوبيني  
مصراحة ؟

فنظرت الي في ربة قائلة

- اتفضل

- شكلي وحش قوي وأنا لحييتي كده ؟

فاستعرضتني في ارداء وقالت

- والله ماشفتكش من غيرها عشان احكم ا

وتركتني ومضت ، وسرعان ما كنا نجرى - جمال وانا - الى  
امواس الحلاقة .

(٢٠)

السفينة واقفة من جديد امام الفئار الذي ربما كان رقم  
عشرين ، كان البحر الاحمر شارع وهذه الفئارات اشارات المرور ،  
وكانت به مجموعة من الفئارات حولها بحر ا ومع ذلك لم تتفع كل  
هذه الفئارات في منع كافة الاخطار ، بدليل تلك السفينة التي مررت  
بها ، موهلة ، في وسط مجموعة من الصخور المرجانية ، والتي  
علمنا انهم سيتركونها هناك الى الابد بسبب ان ثققات انتشالها  
اكبر بكثير من ثمن انتضاها ، فوالله - قلت ليهجت - لاتصلن  
بمصلحة الموانىء والمناشر بمجرد عودتي لكي افلوضهم في  
شأنها .

- ليه .. ح تشتربها ؟

- لا .. يمكن يا جروها لي مقروشة !

فلا شك ان سفينة ظريفة كهذه السفينة - هذا القصر المشيد  
في وسط البحر - تكون اجمل مكان يقضى فيه الرجل عطلة الوبك  
اند مع هذه الجماعة او تلك .

ولما كان الشىء بالشىء يذكر فقد قلت لصبرى وانا الل بجانب

٧٦

سور السفينة

- تسمع تصوري والفارة جنبى ؟

- ليه ؟ ..

- عشان مراتي تتأكد اني في البحر الاحمر ؟

فربما يكون قد خطر لها - وانا لا ادري - اننى واحد من اولئك  
الازواج الاوغاد الذين يقولون لزوجاتهم انهم في البحر الاحمر وهم  
في بحر آخر ، يعملوها واه .

(٢١)

السفينة تعفر كما يقولون عياب البحر متجهة الى الفردقة . لم  
تتوقف يا خصارة عند مفاجأة مع اننى كنت قد اعددت نكتة خاصة  
بها . كنت اتوى ان انتظر من بهجت اول هلمة او سقطة لكي اقول  
له :

- اهي دى مفاجأة منك ؟

وبمراجعتي لهذه النكتة اشكر الحظ الذي لم يوقفنا عند  
سفاحة

(٢٢)

من السفينة الراسية امام الفردقة ازل زويق تكسنا فيه حتى  
الشاطئ . ثم تكسنا في اوتوبيس سياحى يحملنا وسط ابار  
البتبول الى الفندق الكبير بالفردقة ولا هيلتون وات ذلك الفندق  
الفاخر ، واجنحة الكبائن الملحقة به على شاطئ البحر ، والبحر  
اخضر بلون الفيروز وعيني قطنى بوسى ، وتلال بعيدة صفراء تلعب  
في ضوء الشمس الساطعة - اسطح شمس من اصفى سماء فوق  
اخضر ماء .

وتعال معي - اجري بسرعة ا - نحو ذلك الصنف الطويل من  
المظلات المرسومة على البلاج . انظر هناك الى ذلك الميكيني ،  
على ذلك الجسم الرشيق الابيض للسيدة الالمانية .. اوليست  
بذمتك تحفة ارية نادرة جديدة بان تعرض مع سائر التحف  
المستوردة في فترينة ها - قصدي ا - نو ؟

مصوب اليها كل ذى عدسة عدسته ، وطرقعت الكاميرات حولها  
وهي تنظر في غير استفراب - ما الفرابية في ان يصور الرجال  
سيدة جميلة ؟ بل انها رقت مقصوعة وهي تقبض على عصا  
المظلة بيدها اليمنى وبيدها اليسرى صوت شعرها الذي تعانث  
رياح البحر الرذيلة . ولظرف من ذلك ان بجانبها يجلس رجل ربما  
كان احاما او زوجها ، بغير اكترات يرفق المنظر ويبتسم ، سمة  
ارية سمحة تشوبها لمة وهو سبب اقتناء تلك التحفة لغاية  
فوائده لولا ان العجزة في ذلك الفندق بثمانية حنيها في الليلة  
لتخلفت عن العودة مع الرفاق ، ولقضيت هناك شهرا على الأقل  
ارسل فيه مقالاتي بالبريد - لذا قضيت طبعها اكتب مقالات  
وبانتهاء التصوير تهادت نحو الماء الأخضر ، على ايقاع قدميها  
وجدتني اتحول من مائر الى شاعر ، انطلقتى العاطف بهذه الابيات  
التي احب ان اعرف رايك فيها

يا لابسة سيكيني

كورفة توت

تعالى حاكيني

لحظة واموت

ماشية

وهي غير للفصيدة التي قرأتها في عيني كمال عمار وهو يتأمل  
السيدة مثلى ، سائل اللعاب كانه سمع الجونج ؟ فلما انه نظم فيها  
لفصيدة - تلك التحفة التي تخوض الماء الأخضر - لقال شيئا من  
هذا القبيل

رشيلة هيفاء

ارية حسناء

دجاجة سماء

وهذا الماء

ملوحية خصر

هذا والرجل الجميل برقبته في امساك ، لا ، في رسم على

شفثيه بصمة سخرية وكأنه يقول  
- اصلهم ما شاقونيش انا بالمابوه !  
(٢٢)

الليلة عيد ميلاد محمد صبرى ، كل سنة وانت طيب يا صبرى  
وفيروز تفنى له لحنا راقصا اثنت لنا ان بهجت ليس رساما  
فحسب ، وانما رقص ايضا ! على نفقة الدبكة يرقص وكذلك على  
واحدة ونص ! قيا بخته على هذا الازدواج المهني ، وعلى اطمئنانه  
اذا ما ، ولدهوه ، بسبب او ياخر من دار الهلال - على مستقبله في  
عمر خيام الزمالك !

وسونيا يس رات ان تشارك في الاحتفال ، بمعزوفة لبيتهوقن  
على البيانو العتيق انذى ماكان لينطقه غير اصابعها السحرية  
وناطرا اليها رجوت لها عندما تتزوج الا يكون الزواج مقبرة لتلك  
الموهبة ، كما يحدث للكثير من الموهوبات .. تكون داهية لو انها  
بعد عشر سنوات من الزواج - في وسط ثلاثة اطفال - ترى زوجها  
يدير اسطوانة لبيتهوقن فتقول له في تائف

- يختي بلا وجع دماغ .. سمعنا حاجة لعبد الحليم حافظ !

(٢٤)

الوقت قبيل الغداء والرجل النائم مازال نائما ، وكمال عمار  
مرهف الاذنين لكيلا يضيع عليه وسط انغام فيروز - صوت  
الجونج ، فلو ان هذا الشاب تحول الى موسيقى لكان اول موسيقى  
يلحن كوتشرتو كاملا للجونج والاوركستر ، او لفتحنا الراديو  
فسمعنا المذيع يقول :

- والان سيداتي نستمع الى كمال عمار في تقاسيم على

الجونج !

وهواء البحر الاحمر اطار على جبين احدى الراكبات شعرا  
حوريريا ، هناك حيث وقفت مستندة الى سور السفينة قائلة بصوا  
لى ، وقد كان لبطير فستانها ايضا لولا انها لا تلمس الفستان ،  
انظر الى ذلك البنطلون الهيلانكا الاحمر وقل معى اوه لا لا !

لكننى بالطبع لا يجوز أن أطيل البعلقة الى ذلك المنظر لأننى فى مجتمع محترم ، مع أنه والله - المنظر لا المجتمع - جميل جدا فلأنظر الى البحر ما شاء لى النظر قائلا الله ! ولأنظر الى الجبال وإلى السماء وإلى الغمر قائلا الله ! كل شىء يجوز لى أن أخلق فيه وأقول الله الا منظر العمال الشرى ، هو وحده الذى يجب أن أراه فأقول استغفر الله ! فهو بحر كبير ذلك الذى بفصلنا عما رأيته فى الفردقة من التساهل الآرى . ولاغنى النظر بسرعة وقد تحركت الأنثى وموت أمامى . فى جرافة فسيولوجية رائعة تهتز مبتعدة عنى ، قاصدة الى حيث لا يعلم الا الله ! والرجل الجميل يرقب نظراتى فلا يلبث أن يضع ساقا على ساق واكاد أسمعهم يقول فى كبرياء - طب ما لنا بنطلونى من اتو !

(٢٥)

السفينة تمخر كما يقولون عباب البحر حتى وصلنا الى جزيرة اسمها على ما أذكر ، برنيس ، جنوبى أسوان بعدة كيلو مترات فى تلك الجزيرة كان مطروضا أن نستحم بدلا من أن نكتفى كما عملنا فى الفردقة بالفرجة . فانزل من السفينة لنش تكسنا فيه من جديد حتى الشاطئ . وفيه دار حديث عن طبيعة البحر فى هذه البقعة النائية المهجورة ، وعن الكائنات البحرية التى تقطنه ، إذ قال هبة عنایت - استنادا الى خبرة سابقة بالبحر الأحمر - أنها تتألف من عدة أنواع هى الآتية : - اللى ما بعض بقرص ، واللى ما بقرص يلدغ ، واللى ما يلدغ يلد ، واللى ما يلد يلو ش ! أى أننى بعد نصف ساعة من الاستحمام فى هذا البحر يجب أن يكون فى انتظارى على الشاطئ . عندما أخرج - إذا خرجت - ثلاثة رجال مزودون بالأدوات المناسبة للموقف .. الأول يحمل فرشاة لكى ينفخ بها ما يراه من كائنات بحرية تتمشى على جسمى ، والثانى بمسك ملقاطا ينتزع به الكائنات الأخرى التى لبدت فى حلقى ، والثالث يحمل لغة قطن وزجاجة ميكروكروم لكى





يظهر الجراح التي تنتشر في جسمي بسبب ما عشت وما قرصني  
وما . لاشئ . من تلك الكائنات

وجدير بي بالطبع بعد أن أعود إلى القاهرة أن أمر على طبيب  
الأنف والأذن لكي يستخرج ما ربما يكون قد تسرب إلى الأعضاء  
المذكورة من كائنات البحر الأحمر

صورة أزعجني بعض الشيء وأنا اطلع وأزل مع حركة اللش  
فوق الأمواج ، ذلك اللش الذي مالبث أن وصل إلى الجزيرة ووقف  
على بعد عدة أمتار عن الشاطئ .

انقضوا انزلوا ، المياه موش غويطة

هكذا قال لما البحار المراق مصدقناه وتقربا من اللش . وهي  
اللحظة التي تبينافيها مدى اختلاف الرأي في صفة العمق بين  
الرجل البحري والرجل الآخر البري . إذ فغرنا وفقا لأمر البحار  
فوجدنا أنفسنا نفوس في الماء . وجاء النقلش وأنا . إلى قرب  
العنق ، والفرق الوحيد بيننا في هذه المحنة انني كنت اليس المايوه  
في حين كان هو يلبس القميص والبطلين . غير انه لم يسمح لهذه  
المفاجأة بأن تفقده حسن تصرفه ، وبسرعة . وقد ينس من انقاذ  
شبابه من البل . رفع فوق رأسه الكتاب الذي كان قد أحضره معه  
ليواصل قراءته . وهذا هو السبب الذي جعل بهجت يقول له :  
- كان حقا تشتري من الكتاب ده نسخة بلاستيك !

سوب كبير من الطيور البحرية ذات الأجنحة الطويلة افزع  
وصولنا قطار عن أرض الجزيرة وهو يقول كاك . ومتذكرا كلام هبة  
عن كائنات البحر الأحمر سرت على أطراف أصابعي مخافة أن  
أعش وأقرص . ونفلا رأيت على الرمال الصفراء الناعمة عدة  
محارات تجرى بسرعة وقد افزعها مقدمي . وتكون بجحور في  
الأرض أعدتها لزوم هذه الطواري . لكنها كانت قليلة بدرجة  
مطمئنة . وهي على أي حال تخاف مني . الحمد لله . أكثر مما  
أخاف منها .

فرفعت عيني عن الأرض وأرسلتهما تستعرضان الجزيرة .

كانني والله في جزيرة التفاحة والجمجمة . الرقعة المستديرة  
الصفراء التي تحيط بالبحر الأحمر . ورياح نقية تملأ صدري .  
انني رياح شمعتها في حياتي . وصوت بعشة الماء على الرمال .  
وهمسات البعيدة بين شعب المرجان . والخضرة التي تتحول إلى  
زرقاء عند الأفق البعيد ، من جديد أحسست بالدموع تتصاعد إلى  
عيني من شدة التأثير بهذه السيمفونية البحرية البادرة . فأين أنت  
يا زازا . هكذا هتفت . أين أنت بغير كرتة أو الحاح طبة . وأين  
شجرة التفاح التي تعددت تحتها ذات صباح . وببذك الصغيرة  
البيضاء سويت على صدرك قشرة تفاح حلزونية حمراء ٢ .

(٢٦)

سعيدا بين أحضان المياه الخضراء الدافئة ورمال تتزلق تحت  
قدمي وربما كانت أحد الكائنات الهلامية التي تقطن قاع البحر .  
ومن يهمة ؟ ومنظار مائي قدمه إلى شاب لطيف وطلب مني أن  
أبسه وأنظر به تحت الماء بجانب تلك الصخرة القريبة . فلبست  
ونظرت ويا سبحان الله على ما رأيت من أسماك حمراء وخضراء  
وفراشي . يعيون براقه تحلق محوى وهي تتزلق في الماء . تحلق  
محوى ولا ترائي . ليس ثمة فكرة عندها عن آلاف الأميال التي  
قطعتها من القاهرة إلى هنا لكي أراها . فهو نوع من الانفصال  
الغريب بين مختلف الكائنات الحية . ذلك الانفصال الذي لا يمنع  
وجود الاتصال الكهربائي الشامل وفقا للنظرية التي ساقول ذات  
يوم أن اخذ اجازة لاثباتها

وفي مياه الشاطئ الضحلة جلسنا ، ستة منا ذابت أرواحهم  
في المياه الخضراء . بهجت وجمال كامل ومحمد صبرى وعبدالله  
الطوخي وهبة عنایت وأنا . ورعاية من اللبن المبستر كان بهجت  
قد أحضرها معه لزوم التغذية الإضافية في هذه المنطقة الوعرة .  
خرج منها جرعة ثم قدمها إلى فجرعت . توطئة لأن أقدمها إلى  
جاري ليخرج . ثم عر لنا أن يختبر بها صحة ما درسناه في معمل  
الطبيعة عن قوانين الطفو والكثافة وما إلى ذلك . إذ أحكمنا سدها

مائلة ووضعناها في الماء فنامت على جنبها وكانت تغرق . فشربنا  
مها قرامة مصمها ووضعناها في الماء من جديد . رأيناها تعتل  
وتستقيم وتقف في الماء عمودية متوارنة مع حركة الموج اللطيف  
تتراقص وتتأقل بيننا . كلما رست أمام رجل مما نزع عنها القلة  
وجرع . فوالله ما شربت في حياتي لبنا أحلى وأصفى من هذا  
اللبن . ولعل اللب من الأشياء التي لا تحلو إلا راقصة على موج  
خضراء . فذكرى عند عودتي أن أعاد هذه التجربة وأما جالس في  
البانيو

(٢٧)

السفينة تمخر كما يقولون جباب البحر متجهة الى الشمال  
وهدفها ميناء الطور ثم ميناء السويس حيث تنتهي الرحلة . وبين  
الثوم واليقظة ساورنى شعور غريب بأن السرير لا يهتز ولا الحجرة  
تتأرجح . اتكون السفينة قد اشتبكت - كالسفينة أباه - في شعبة  
من صخور الأرحان ؟

كلا هي لم تشتبك . بل انها ليست سفينة أصلا . وانما حجرة  
مومي في المنزل العامر الذي بت فيه بعد انتهاء الرحلة ليلتى أنا  
الآن على اليابسة لا على الماء . رحلة وانتهت ولم نعد الا ذكرى في  
الكثرونات المخ . لن اصحو بعد اليوم على صوت ارتطام صلعة  
صبرى بصویر بهجت . ولن ارى رجاء النقاش في الماء بالبنطلون .  
لا حوتج بعد اليوم ولا وقفة مفاجئة عند لفار . ولا لنش يعلو من  
وبهية ولا كائنات تفرص وتلبد . ولا رجل نائم ولا اجر جميل . ولا  
صور ترسم لى ولا أصابع سحرية على العيامو العتيق . ولا بيكىنى  
ولا هيلاسا . ولا عاصفة تهب ولا رجال بمقايون . ولا لحي تطلق ولا  
زحاحات لبن تعوم . ولا بقعة خضراء تتلوى بين الامواج قبيل صيد  
القرش . اما الآن على اليابسة لا على الماء وانقرش الوحيد الذي  
سأحاول صيده هو القرش الذي اقتضه ثمننا لهذه السطور .  
وبهذا تنتهى سكة السفر واعتقد ان الوقت جان لكى اقول لك  
حمدا لله على السلامة !

## شارع السيقان الموسيقية

بدأت علاقتى بالناحية السكسونية من الحياة في الطائرة التي  
حملتني من الكويت الى لندن . لا أعجز أن محركاها مصنوعة -  
الطائرة لا الكويت - في مصانع رولز رويس البريطانية . وانما  
بسبب ذلك الفتى الانجليزى الذي تصادف جلوسه بجانبى . إذ  
التقت نحوى في برامة غير متوقعة وقال :

- هل انت انجليزى ؟

فدهشت بالطبع . ومع الدهشة مزيج متناقض من السرور  
والاستياء

- هل ابدو انجليزيا ؟

هكذا سألت برمرة عتاب خفيف لمقلب شفته السفلى وقال

- ول

قالها متلك اللهجة التي تقول بها انت كلمك المعروفة . يعنى  
- كلا لست انجليزيا . شرحت له . أنا مصرى

فلم يرد على قوله اوه . والى الاند سأسل جاهلا للمعنى الحقيقي  
لهذه الاوه . ورجت انكرفى هذه العشكة الطارة التي واحسنى .  
حكاية ان منظرى من شأنه ان يوحى لبعض الناس بأننى انجليزى  
حتى وان كان اولئك الناس من الانجليز . مع انى معا قد يتعلق  
عزير البعض ان يعرف ان شكله خواجهانى . ولكننى من ناحية لست  
ذلك البعض . خاصة وان هذا الشكل هو آخر ما أطلقه فى لندن  
هناك كنت امصل ان ابدو شرقيا صميما . لا لا عترارى بشرفينى  
محسب . وانما بسبب ما سمعت عن الاثر الطيب الذي طالما تركه  
سحر الشرق فى نفوس الانجليز لا سيما اذا كانوا انجليزيات .  
لكننى على أى حال . فلت لنفسى - منهدا - لم اسافر الى لندن

لهذا الغرض . وما اظن ان شهرا من الزمن يمكن ان يسمح لي باستقلال ذلك السحر مهما بلغت درجته ، فانا في القاهرة نظسها احتاج الى اكثر من شهر لتاكيد سحري . وربما احتجت في بعض الاحيان الى اكثر من ستة اشهر . فما بالك وانا مضطر هناك في لندن الى ترجمة ذلك السحر الى الانجليزية !

وعلى لوحة كهربائية في الطائرة ومضت كلمات تأمرني بان اكلع عن التدخين واربط الحزام على بطني لقرب هبوط الطائرة . فاما عن التدخين فقد سامني ان امتنع عنه حتى لتلك الفترة الوجيزة . واما عن ربط الحزام على بطني فهذا شيء قد تعودت عليه منذ الحرب العالمية الثانية . ولن احاول ان اخفي عنك تلك الرعدة التي اعترت يدي وانا اربط الحزام . لا لخوفى من فكرة الهبوط في ذاتها واما من فكرة الهبوط الى ذلك العالم القريب الذي اعانيه للمرة الاولى ورجل مهذب في الجمرات الى جانب انه اصليع ساكني باسماء - لماذا تزور لندن ؟

وهو سؤال كنت ائذرت من قبل بانه سوف يوجه الى هناك . وكذلك صليت نفسي باعداد بعض الاجابات المبكرة . راحبا ان اسمح عن روح الموظف المسكين ذلك الملل الذي لا بد يعانيه من طول استماعه الى نفس الاجابات الرسمية المكررة . فاليك بعض الامثلة لتلك الردود التي جهزتها

رد ١ - لكي اخرج على تغيير الحرس في بكنجهام ا

رد ٢ - لكي اجرب حظى في قطار جلاسجو ا

رد ٣ - لكي ادعو شارة تشرشل الى كاس ا

رد ٤ - لكي اطعم الحمام في ميدان الطرف الاغرا ا

وغير ذلك من الاجابات التي لا شك في انها كانت تلفت انتظار اللندنيين على المرور . ولربما دعوتى - استنادا اليها - للاشتراك في برنامج ساعة لقلبك البريطاني . ولكن رهبتى للموقف اطارت كل هذه الاجابات من دماغى . ولم ازد على قولى اننى في رحلة سياحية عادية . فكتب الرجل كتلة ما على الورق ثم طردنى بما يشبه

امتسامة موزعة بيضى وبين الزيتون الذي ودائى . وبينما انا ادخن سيجارتي الاخيرة تحت الاعطفية الثقيلة في سرير الفندق . ان كان وصولى الى لندن في جوف الليل . وحدتنى انا الآخر اوجه الى نفسى نفس الموال - لماذا تزور لندن ا

فما صارحك القول باننى رحت في النوم قبل ان اعثر على جواب يقنعنى

### المستان والاسترليتى

المدينة بالنسبة لاهلها منازلها . واما بالنسبة للاغرباب متى فهي شوارعها . وقبل ان احدثك عن الشارع اللندنى احب ان احكى لك حكاية صغيرة شاهدتها في القاهرة قبل سفري عن بنت صغيرة تسير في شارع قصر النيل سريديت بين جوب منهادية على الرصيف . سارت تلك البنت تتحوطها الانصار . ما من مدق رحالى او حريمى الا واستدار نحوها وكلمات كثيرة ترددت حولها منها لساخر الى درجة البذاءة . واكثر من ذكر مصرى تعثر وكاد يسقط لضطراره في سبيل مواصلة البحلفة الى ان يسير عدة خطوات صيرة .

هذا هو موقف الشارع القاهرى من المينى جوب . ذلك الموقف الذى لو تحقق في لندن لكان معنى ذلك ان تتوقف الحياة هناك توقفا تاما . الحياة الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية تدك من وقف حركة المرور . ولكن في مقدور جيش اجنبى معاد ان يستل لمدينة وينشئ حكومة جديدة ويعلن الجمهورية بدلا من الملكية الشعب الانجليزى مشغول عن كل ذلك بالبحلفة !!

والشارع اللندنى بالاحتمال - او على الاقل كما اتلمعت به لاول مرة - هو شارع المينى جوب والسباقان العارية . الاف من السباقان لوبلة البيضاء المشوقة العارية تتواهب على الارصفة في نشاط



انجلو سكسونى فذ ، وفى ايقاع جميل مثل ايقاع مفاتيح البيانو  
البيضاء وهى تتموج تحت اصابع روبنشتين ، او مثل اصابع  
مدحت عاصم او سونيا ورمزى يسى ، ان كنت تفضل التشبيهات  
المحلية ا .

فناة واحدة فى لندن لا تظهر فى الطريق بغير المبنى جوب ،  
وكانه قد اصبح الرزى الرسمى لكل انثى دون الثلاثين من العمر ،  
او دون الاربعين اذا اخذنا فى اعتبارنا قدرة معاهد التجميل  
العصرية على استبعاد اثار البعد الرابع . وليس يلزم ان تكون  
لاسة هذا الثوب صبية عذراء ، لو اشتربنا ذلك لما لبسه احد ، بل  
يكفى كما قلت ان تكون الانثى فى سن الشباب ، والشباب بالطبع لا  
يتناقى مع ان تكون الانثى زوجة واما ، فما اكثر الامهات اللواتى  
رايتهن يملحن عربات اطفالهن بالمبنى جوب ، ذيل الثوب القصير  
يهللك على راس الطفل فى حنته الصغيرة ، والجنة كما تعرف  
تحت اقدام الامهات .

ولقد يقصر الفستان ويقصر - صدقنى انثى لا ابالغ - حتى  
يصل الى مستويات تنسيه انه كان فى اى يوم من الايام عند  
الركبتين ، وحتى يوشك ان يتحول من ما فوق هذا الى ما تحت  
ذاك ا ولرب نسمة لندنية عابئة تهب عليه فتعطيك فكرة عن حقائق  
الحياة ما كنت لتأخذها بغير شهادة من المأذون او من كلية الطب ا  
واذا لاحظنا ان لندن مدينة سياحية فانت لا ترى السيقان  
الانجليزية فحسب ، بل الامريكية والفرنسية والايطالية والاسترالية  
والكندية ، وكافة السيقان الغربية على مستوى حلف الاطلنطى  
والكومنولث ا كانت فى معرض دولى للسيقان ، وكان بنتا ما سوف  
تتال فى آخر اليوم جائزة او وساما بصفتها صاحبة اجمل ساقين  
فى المعسكر الغربى ا

ولكن الشئ اذا زاد على حده طالما انقلب - واسفاه - الى  
ضده والالفة كما يقول الانجليز انفسهم تولد الاحتقار . فبعد يومين

او ثلاثة من التصمغ فى الشارع اللندنى مع النحلة لا طشت ان  
نجاحا تلك الظاهرة الغريبة . انك لم تعد تجد اى نوع من الاثارة  
فى تلك السيقان ، كانت والعيان مات قد اصبت بعرض ما ، او كانت  
طبيب امراض نسائية يكشف على الانثى العانة بعد الالف ، او  
كانت - لكى يكون التشبيه اسرع الى نفسك - تنظر الى ساقى  
زوجتك الخاصة

المفاتيح البيضاء صارت مجرد مفاتيح ، ولم تعد تترك فى  
النفس اكثر من اثر موسيقى مجرد ، وهذا شئ تراه فى عين كافة  
الرجال فى الشارع اللندنى . انهم قد اكلوا وشبعوا الى درجة  
التجشؤ وما عادوا يطلبون المزيد ، وحتى البنات انفسهن قد تسين  
مبعا يدور انهن يلصقن رزى شئ غريب ، وما أشك فى انهن يشتمن  
العودة الى الفستان الطويل المدفئ لولا خوفهن من تهمة التخلف  
عن العوضة . ولعل البنت الاسطورية لا تتمسك بهذا الفستان الا  
لاعتبارات اقتصادية بحثة . كان الفستان كان لازما له ان ينعكس  
لكى يتمشى مع اسكماش الاسترلينى . ويرتفع لكى يلاحق ارتفاع  
الاسعار

ذلك هو الشارع البريطانى وفقا لانتطاعى الاول به ، وهو ما  
لاينفى ان من ذلك الشارع مذات من الطواهر الاخرى الطريفة التى  
ارجو عندما اخذ تقسى ان احذرك عنها شيئا فشيئا  
صبرك على قليلا ومعذرة حتى اسبح زجاج نظارتى



وعلى السلم المتحرك المؤدى لانفاق المترو رايت فتاة تضم اليها في اعزاز شديد صديقا ذا لحية مرسلة يجسده عليها القساوسة ولانها كانت تقف على درحة من السلم اعلى منه راى الوغد ان يريح على صدرها كلا من راسه ولحيته مثل طفل صغير ، والبيت تتخللها باصابعها كأنما تبحث عن شيء فيها

وفى الاتوبيس وعلى الارضلة المزدحمة وفى كل مكان ، طول الوقت تطرق حولى تلك القبلات اللندنية ، وما من احد يستنكرها ويكثر بأمرها سوى . فبدأت اخذ عليها بل واحاول مثلهم ان اباركها . واحد انه من السخف ان اكون انا الفيكترى الوحيد فى عصر البراييت ! بل اننى بدأت اخجل من نفسى ازاء هذه المظاهرات التقليدية . ماشى كده فى الطريق العام دون ان اقل احدًا . وتجسم هذا الكسوف ذات ليلة وانا جالس فى احد المحلات وسط عدة ازواج من العشاق الذين يلتهمون بعضهم بعضا ، فنظرت فى استنجد الى امثى تجلس وحدها بالقرب منى وبالطبع سقطت نظرتى مينة على ارض من الجفاء الصخرى البارد

والكهول ايضا قد سرت اليهم عدوى تلك القبلات . كرهوا فى اغلب الظن ان يطهروا امام الناس اقل اقبالا على العباة من ابنائهم . اكثر من كهل رايت يضم زوجته فى الاتوبيس ويقبلها . ليومها . او ليقوم الناس لا ادري . بان نار حبهما احمى من ان تطفئها رياح الزمن . وطفل لواحد من هؤلاء الكهول راى هذا العنظر بين ابيه فهب من مقعده وانطلق الى مكان الحادث بالسرعة الاوربية المناسبة . مادا شفتيه نحو السيدة يطلب نصيبه من الوليمة . ولقد سألت صديقا مقبلا هنا عن السبب فى هذه العواطف الشرعية الزائدة فقال انها لا تزيد على كونها نوعا من الرشوة يقدمها الرجل الانجليزى لزوجته وهما فى الطريق الى المنزل عقب السهرة . او هى نوع من الساندويتشات العاطفية التى يطعمها اباهما فى الطريق حتى اذا ما ضمهما المنزل لم تطلب العشاء

وهى روتينية جدا تلك القبلات الى درجة اننى رايت شابا - شابا لأكهل - ينزع فمه عن فم صديقته لكنى يتأفف ثم يعاود القبلة من جديد

والغريب فى الامر ان شيئا من الشعور بالذنب لا يبدو على وجوه مرتكضى تلك القبلات . لانهم لا يشعرون . كما أشعر انا الشرقي . انهم . يرتكبونها . فى راحة تامة يتبادلونها ويعلمون ان المجتمع سوف يباركها . وانه قد يسخر منهم لو راهم مصريين عنها القبلة المشربية فى المجتمع الاوربي قد فقدت كل ما يحيط بها فى الاماكن الاخرى من شحنات نفسية واخلاقية معقدة . وصارت مجرد وظيفة بيولوجية مثل تناول الطعام .

فإذا لاحظنا ان معظم اولئك الشبان والشابات اصغر سنا من ان يكونوا ازواجا او حتى على وش جواز فيبدو ان الجنس كله - وما المقابلة الا رمز له - قد صار هو الآخر مجرد ظاهرة بيولوجية لا دخل لها بالاخلاق . ولعل المجتمع الاوربي قد قال لنفسه ان هذه الاشياء سوف تحدث مهما حاول منعها . فلماذا لا تتركها تدور علنا وفى الهواء الطلق

ومواء كان هذا المنطق سليما او غير سليم بينه وبين المسيحية التى تدين بها أوروبا . فالطهارة الثامة نقطة أساسية فى تعاليم المسيحية التى توشك - فى بعض المداهب - الا تحتل الجنس الا بوصفه شرا لا بد منه لبقاء النوع . تماما مثل الاخراج . والمسبولوجى لا السينمائى ! الذى هو شر لابد منه لبقاء الفرد ! فيبدو ان أوروبا المسيحية السابقة شىء غير أوروبا الصناعية الحديثة . وانه بعد تلك القرون الطويلة التى أضاعتها الاولى فى محاولة الغاء الجنس كظاهرة . رأت الثانية ان تستعيز عن ذلك بالغاء الجنس كمشكلة . ولعل الصناعة قد خلقت لها من المشاكل الصناعية الكبيرة ما جعل لازما عليها ان تبدأ بالغاء تلك المشكلة الطبيعية الصغيرة



والوجع الشوقى ما يحتاج الى كثير من التردد قبل ان  
ايهما احسن للقبلة التي تدور في النور على سلم الحق والعدل  
من قبله في هذه الدنيا فكل من يمشي على هذا السلم  
في الدوام النجدة من كل شدة من شدة الدنيا والدين  
في الدنيا والدين في الدنيا والدين في الدنيا والدين  
ومع ذلك فان الدنيا والدين في الدنيا والدين في الدنيا والدين  
فان الدنيا والدين في الدنيا والدين في الدنيا والدين في الدنيا والدين  
تدور في الدنيا والدين في الدنيا والدين في الدنيا والدين في الدنيا والدين  
في الدنيا والدين في الدنيا والدين في الدنيا والدين في الدنيا والدين  
في الدنيا والدين في الدنيا والدين في الدنيا والدين في الدنيا والدين  
في الدنيا والدين في الدنيا والدين في الدنيا والدين في الدنيا والدين

## فن الشحاذة في لندن

انعام لا تفلح من نكاح - فمعت من شاني الصدايق  
والا كورديون في شارع اوكسفورد ، على ايقاع من ربي السمات  
امرونية المتساقطة من ايدي الناس في تلك التركيبة المسفوفة  
العتيقة ، العتقة في رقبة العائدولين التي تمشي في تلك الايام  
لعجوز ذو الشوق المقلدة  
كان يستطير بالطبع ان يسترخي في عذبة مسحا امامه مساقه  
الواحدة ويعتد على الاغاة التي تصدرها الحكومة بعامين .  
لكنه فيما يبدو يفضل كسب عيشه في الهواء الطلق وللمسة من  
الحر في لندن يستطيع ان يشهد ما بعد ما بعد قد لا  
جانب الشحاذة ما اخرج مثل الرجل الذي نراه في يوم من  
لمعرض القوم في ميدان الطرف الاعلى واقفا على رجليه  
صورة لاسكسورية بعض النسخ . على مراد من امثال الرصيف  
يعطى ما تطالبه الطول عسرا سادحة يادل بها ان يدعى من  
المعروض من ريش الى فان حوج ، وكثرة على احد من اوبرا  
انه ليس شحاذا وان كان لا يجانب في ثقل بعض الاكراميات  
تقدرا للمه  
لكن الانجليز بالطبع لا يعتمدون في كسب عيشهم على الشحاذة  
فحسب ، بل هم ينحدون الى العمل ايضا مهما كان نوع العمل  
معتدك على مسيل العمال سلك الرجل الذي يزرع بعض الرصيف من  
شارع اوكسفورد ، وعلى كثر من صدره وظهره اعلان خشبي كبير  
عن قارئة للكف وكاشفة للعين اسمها سادام سادام ، طول النهار  
يقعد ويروح وسط الآلاف من اهل لندن واسماح عامة قارئة  
احمر القبعين مشددة ، تاركها في الناس - يمشي انما على لاقر -  
احساسا عريضا بالشفقة ، ان السائل لمارا لم يفتقر رجلا مدح

من لحظات الفراغ لكي يمسك للمدام كفه ويلتخذ منها فكرة عن غيبه الخاص

وشاب تهجم على حجرتي بالفندق ذات صباح . وبدون لاجم ولا دستور توجه الى النافذة ورفع زجاجها وخرج منها . ظننت بالطبع انه انسان تعس طرد من عمله او خائنه زوجته مع اعز اصدقائه فقرر ان ينتحر مختاراً نافذتي بالذات لكي يثير الرب حولي لقروض في نفسه . لكن الله قدر ولطف وتبينت انه يريد ان يشتعل لا ان ينتحر . اذ اكتفى بالتشعل في النافذة من الخارج مع اخراج خرقة ينقلب الزجاج ويلمعه بها . كارها ليعا يبدو ان انظر من خلال الزجاج القائم لتتقوتني احدي التفاصيل الهامة في الشارع اللندني

وشاب اخر من لسبب ما انتى احب شرب اللبن في الصباح . مع انتى اكرهه في كل الاوقات . . . فتعبد ان يصحو كل يوم من النجمة لكي يضع زجاجة منه امام بابي . لا يمنعه من ذلك ان تكون السماء كما يقول بنى جنسه تمطر قططا وكلايا . . وهو يصل دائما في نفس لحظة وصول ذلك الرجل الطيب الآخر الذي علم انتى اكره تراكم القمامة امام باب الفندق . فتردد لحظة ثم تنهد في استسلام واشتغل زبالا . . شأنه في ذلك شأن الرجل الطيب الآخر الذي قرر ان يتولى كنس الشارع . باحدى يديه يمسك المقشة الطويلة وبالاخرى يمسك الباب . متفحفا أرض الطريق مدقة مغمودة من وراء منظاره الطي

وفي نفس الساعة المبكرة يصحو سائق الاوتوبيس مع الكمسارى . وقد تصحو بدلا منه والدته المحوز الطيبة التي قطعت لي التذكرة اكثر من مرة وهي تقارم السقوط بصعوبة كلما انحرف السائق بالاورتوبيس . وذات يوم تولت قطع تذكرتي اخته لا والدته . وكانت جميلة جدا الا انها في الوقت نفسه عنيدة جدا . رفضت رفضا باتا تلك الفكرة التي عرضتها عليها بان تحل محل مكاني واتولى انا قطع التذاكر

وشاب طويل وسيم يشبه احمد مظهر . ظننت لحظة دخولي الى حجرة انه مدير المكتب او وكيله . ثم تبينت من عمله للمحان شاى الخالى انه ليس اكثر من فرائض المكتب . . . وفي ليلة اوجه بدلتى وبوقار شديد خرج من الحجرة لكي يشتري لاحد سوطتين ساندويتشا وعلبة سحائر . . . وبسوالى عن مرتبه قيل لي . تحو من ١٥ حنيها لاغير . في الاسبوع ياخذون لا في الشهر . ماذا كان التسول يجلب البنسات للعمل كما ترى يعطى الجنيهات . في لندن كما علمت قلما يقب أجر العامل . حتى انكاس ابو بارف . عن عشرة او ثمانية جنيهات في الاسبوع . وهم في مقابل الحق يقال يعملون بمعنى يعملون . ثمانى ساعات متواصلة لا سريجون فيها الا نصف ساعة يخطفون فيها ثمة سريفة ومجان نوة

لكن من الانجليز من لا يحبون قبض مرتباتهم بهذه الطريقة . المضلين ان يتوصلوا بطرق اخرى الى قبض مرتبى انا . . . تلك اماكينات المنتشرة في البلد مثل صناديق البومسة . داعية اياى الى ان اودع في ثقب منها سسا واحدا فيبرل لي من ثقب آخر ستة . . . ولقد نزلت لي فعلا تلك البنسات الستة . بعد ان اودعت في ثقب اللعين ستين ينسا

او بينت حلوة توصلوا الى اقناعها بان تلك امامى في احد لاهى سوهو . متجردة من ثيابها قطعة بعد قطعة حتى تصبح كما ولدتها امها . . . كائنا حسيونى ولدى المراهق . . . وكان موصاف لمبني والميكرو . قد تركت شيئا من هذا القصور في ثقافتى لشربعية

لكن منهم من يحب ان يبيعنى في مقابل تقودى شيئا حقيقيا يحتاج اليه جسمى ياكمله او عضو واحد منه . من الخارج كبدة لبسها او حذاء . او من الداخل كدجاجة اكلها او كنس اشربها . ومن اجل ذلك ارتفع في شارع اوكسفورد محل اسمه صلفردج . طوله محطة اتوبيس وعرضه محطة . وخمسة طوابق يلزمك شهر كامل على الاقل من التجوال فيها قبل ان تستطيع ان تقول .

صادقا - انك قد الفيت على كل رايون من رايوناتها نظرة عابرة ١:١  
يهودى طبعا ذلك الخواجة سلفردج ، ومنذ عهد قريب كما سمعت  
باع هذا المحل بذلك الرقم الصغير المعلوم ، سبعة وخمسين مليوناً  
من الحفريات الاسترلينية !

متجر عملاق بجانب عشرات العملاقة المشابهة فى ذلك المتجر  
الكبير المسمى لندن .. وبجانب كل عملاق من تلك المتاجر بنك  
يحتضنه فى حنان مصر فى مؤثر ، وبجانب كل فرع من فروع تلك  
العملاقة ، فرع لكل حى من احياء البلد .. فرع للبنك يضمه فى  
نفس الحنان ١. والمفرد فى معظم الاحيان عالية اكثر من اللازم ،  
لكى تتسع من ناحية لكل ما فيها من الفلوس ، ومن ناحية اخرى  
لكى تضمن لك الراحة الابدية اذا مارميت نفسك من فوقها فى  
لحمة بورصية عصبية .

خفيف البنكنوت فى ايدى الاف السياح الذين يفدون الى لندن  
كل يوم من الف مكان ، وشغلة فى حبيبي لكمية من العملة تهيب  
لى امنى من الاغنياء ، وما هى - واحسرتاه ! - الا بقية الجنيه التى  
اودعته فى لحظة تهور فى خزينة سلفردج ١ لملاخرج بنسا منها  
واستمع بصوت رنينه على سائر البنسات فى زكية الرجل مقطوع  
الساق ، وعلى انغام الماندولين ابتعد لى عبر الطريق ناسيا  
بالطبع ان انظر الى يعيش بدلا من يمارى .. وفرملة حادة لرولز  
فاخرة سوداء كادت تدوسنى ، ليس من المستبعد ان تكون سيارة  
سلفردج نفسه او الرجل الذى اشترى منه المحل فالحمد لله امنى  
ان ابقى فى لندن لفترة تكفى لان اموت قتيلا ، بسبب اولئك الناس  
الشوالذ الذين يصرون على ان يقدوا سياراتهم - بخلاف العالم  
كله - على يسار الطريق .. وما كان فى مقدورى على اية حال ان  
ابقى فى لندن طويلا ، فمن اين احصل على الفلوس اللازمة وانا لا  
يهودى ولا اجيد العزف على الماندولين ؟

## مصر فى لندن

مجيدة يا عسلتى حيث تقفين على شاطئ التيميز ، شامخة رغم  
الغربة تحكين للناس قصة المجد الذى كان مجدنا ، على شاطئ  
النيل منذ اربعين قرنا ، قبل ان يمجج اصحاب التيميز فى كتابة  
اسمه او حتى فى مجرد النطق به .. فهى صعبة بعض الشيء -  
كلمة تيميز - على رجل فرع لتود من التهام سمكة تيميز صادها بحربة  
من الصخر الممنون وغاصت منها شوكة فى لسانه واخرى فى  
حلقه البدائى

يسمونها هناك ابرة كليوبتره ، مدللين بذلك على جهلهم  
الفاضح ، او على الاقل على ازدياد العلماء منهم لتقافة العابر  
العادى على رصيف فيكتوريا فهى من ناحية لاتمت الى كليوبتره  
بأية صلة . اذ سبت قبل مولد المذكورة بنحو من خمسة عشر  
قرنا . وهى من ناحية اخرى اكبر بكثير جدا من ان تكون ابرة .  
مهما بالغنا فى تصور الحجم الذى كان لاي من التندى او الخياطة  
الفرعونيين .

بنها تحتمس الثالث فى هليوبوليس عام ١٥٠٠ قبل الميلاد ،  
جالسا فى ظلها وفى غلة من حشيشسوت يحلم بامجاد المستقبل  
فى مجدو والنهرين .. وبعد قرنين من الزمان اضاف رمسيس  
الثانى الى نفوسها بعض كلمات من عنده . ذلك التطفل الذى طالما  
وقع فى احسن العائلات حتى - او لا سيما - ادا كانت ملكية -  
فلما غزا الاغريق مصر نقلوها من هليوبوليس الى الاسكندرية  
التي جعلوها - لعبهم للطرارة - عاصمة رسمية للبلاد .. وهناك  
تحولت من رمز دينى الى مجرد أداة للزينة



وخلال القرون التالية لا أشك في أنها شعرت بقدر كبير من الوحشة والغربة والارتباك أزاء مالا يبرح يتهدد حولها من أصوات جديدة غريبة وكثير منها منكر .. هدير عجالات الرومان وتنهيدات كليبوترة بين أحضان أنطونيوس على أيداع من صرير أستان أوكتافقيوس ، ثم صليل سيوف عمرو بن العاص ونداء من فوق منذمة معشوقة كالمسلة يقول ان الله أكبر .. ثم سناك خيل الاتراك والعماليك برين وبحريين ، الأصوات التي ما لبثت ان خفقت في فرقعات القنبر الفرثي الذي نزل على الناس وما كانوا عاينوه من قبل

كل ذلك شاهده مسلتى في صر فرعونى تشبكر عليه حقا ، غير عالمة بناشيرة الخروج التي تعدها لها اقدارها العابثة .. انه ولي حكم الملاد بانع سجانر من قوله اسمه محمد على ، ولي لحظة انسحاب تركى برم شنيه وقرر اهداءها للشعب المريطاني العزيز ، متوهما رحمه الله انه مذمحه للعماليك في القلعة ورث كل شيء في العربة المصرية حتى مجد تهنس

وكان الغرض من الهدية مشاركة الانجليز في احتفالهم بنلسون ، تمجيذا لانتصاراته البحرية على فرنسا واسبانيا ذلك من انتصاره البري على لورد هاملتون .. وتمجيذا في الوقت نفسه لانجليزى آخر اسمه سير رالف ابركرومى .. درس القانون كما بقولون ثم هجره مفضلا عليه تسريفة الفاب ، ومات في ابوالخير وهو يطرد من حول المسلة ماتقى هناك من غلول بومبارت .

ما خطر قط لولى النعم وهو يفتشش على الانجليز بالمسلات اهم على وشك تسجيل انتصار آخر ان يرتاح اليه كثيرا ، انتصارهم شخصيا في حرب المورة وتحطيم اسطوله في موقعة بقارين ، وهناك ظفرت اسماك البحر الابيض موهنة اكبر من اللازم من اللحم المصري المملح باحلام الباشا الدخاخي ، الذي اتضح اخر الامر انه لم يكن جنديا من معدن ممتازا

غير ان صعوبة شحن مثل هذه المسلة الضخمة ٢٠٠ طن وربما ، كانت سببا في تأجيل الرحلة حينما من الزمن ، ولم يعد لا يمايز الى تنفيذ العملية الا في سنة ١٨٧٧ ار صمغ لها رجل حليزي اسمه ارارموس ويلسون اسطوانة ضخمة تحميتها من عاء وتسحب فيها من الاسكندرية الى لندن ، تلك الرحلة التي يدل حوى الاحداث على انه قد صاحبها من الهة احدى الف امة ولعنة .. فلا بد انهم عقدوا اجتماعا سريعا برئاسة امون ورع ذلك الاجتماع الذي تمخض عن اقتداب اله الريح ، شوه للسفر الى خليج بسكاي نيكور في انتظار السفينة ، اذهب هناك من الرياح ما عصفه بتلك السفينة وقذف بها على صخور الشاطئ ، وما اشك في ان ايريس قد اسهمت في استنارة غضب الأمواج بشيء من دموعها ، وان نقصا في الفيضان - لهذا السبب - قد شكاه من المزارعون على شاطئ النيل

وفي تلك العاصفة مات ستة بحارة من طاقم السفينة وهجرت المسلة في اسطوانتها على احد الشواطئ المقفرة وعام كامل مر قبل ان يعادوا البحث عنها وينقلوها الى لندن بصحبة رجل اسمه جور ديكسون ، وهناك اقيمت على شاطئ التيمز غير بعيد من القصر الملكي ، لكي تتمكن الملكة فيكتوريا من رؤيتها كما خرجت لتمشى رجلها الملكيتين

في ذلك اليوم صار اسمها ابرة كليبوترة وصارت احد المعالم السياحية في مدينة لندن وهناك سعبت اليها على شاطئ التيمز ، ومارا بقبلة سياحية عنيفة ولندنى حاحظ العين يحمل لامة طويلة تقول ان النهاية قد اقتربت وصلت اليها ووقفت امامها اثو صلاة فرعونية صامتة واشى سائحة صعدت السلالم القليلة المؤدية اليها واستندت ظهرها عنها مع التقصيع ، باسمه للتكاسيرا التي يصوبها اليها صديق العائلة وسائحات اخريات عن منها فاقطر وحدود حذوها رقصات ان يعدى الى بلادهم وليس في مظهرهم اثر من ابرة جدتى والجميع يعرفون بي ولايتيهم الى

غير عالمين - الجهلاء - أنتى الوريث الشرعى لتلك العسلة ولكل  
 ذلك العبد الذى كان فوددت ان اعطى تلك السلالم والشرح فى  
 القاء كلمة تعرفهم بشخصى .. لكننى اتوت ان اؤجل الامر لحين  
 لحظة من التمسح النفسى تصيبنى فجأة فى عايد بارك  
 وما كنا بالطبع لنفهم شيئاً من المكتوب على تلك العسلة لولا  
 العثور على حجر رشيد ، الذى نقل هو الآخر الى لندن لكى يتصدر  
 السور الفرعونى الكبير بالمتحف البريطانى .. ان سلبه الانجليز من  
 الفرنسيين عندما هزمهم فى « امركير » بقيادة الوغد صالف  
 الذكر ابر كرومبى ، ولعلهم ان لم يسلبوه لآخذوه مع العسلة بعد  
 حين على سبيل الهدية من الباشا الفنجري .. وكما حولوا المسلة  
 من مسلة الى ابرة حولوا ذلك الحجر من حجر رشيد الى حجر  
 روزيتا .. تعميدا له باسم غربى كى لا يتذكروا انهم سرقوه كلما  
 نطقوا بكلمة رشيد

لان الهة الفراعنة كانت قد نفخت فيها فيما يبدو من الامركه ،  
 واجدة انه من السخف الاصلى ان تقوم بكل العمل فى حين يجلس  
 احفادها لمجرد الفرحه .. ولذلك امتلا المتحف البريطانى بتلك  
 المجموعة الهائلة من اثارها ، من الاسورة التى كانت تستخدمها  
 الانثى الفرعونية العادية فى تزيين معصمها الى راس هات من  
 الجرانيت الاحمر لتحتسى الثالث ذات نفسه .. وذراع طولها عدة  
 امتار من تمثال مكسور لرمسيس ، واسود امينوفيس وابضة فى  
 صمت حزين وسط اصدااء بعيدة لتراويل كهنة امون فى كتاب  
 الموتى

وموتى كثيرون فى ثوابيتهم المزركشة الواقفة مثل صف من  
 الحرس ، ولى صندوق زجاجى كبير ترقد مومياء لبنت مصرية غير  
 معروفة .. يصغوبة وجدت ثغرة اراها منها بين فخذين جريئين فى  
 الميكروجوب ، طاردا من دماغى حكمة عيئلة لاسى العنقاوية عن  
 الولادة للموت والبناء للخراب .. ولا شك لى ان افكارا مماثلة دارت  
 فى دماغ ذلك المشد من السياح وهم يفتنون البحر بين

الميكروجوبات وكفن الميت التى لابد قد خطرت ذات يوم فى  
 مسان من الكنائس الشفاف ، سائلة لب اكثر من ذكر مصرى  
 ، جان

محبة يا ايها الميت المحنطة ويا حجر رشيد لا روزيتا  
 ، اذراع رمسيس ويا راس تحتسى ، ويا مسننى حيث تقفين تحت  
 انظار لندن حاكبة للعالمين عن الحنة الذى كان

## الفرق بين جورج وماري

لا بد أن شكلي قد بدا غريباً بعض الشيء للانجليز - أو على الأصح للثلاث منهم - وأنا أسير في الطريق العام مشعري الرجعي الحليق . وبذلك الكرافنة العنكبوتية على صدري بعير مناسبة واضحة خلال فتحة الجاكيت التقليدية ، فلعني ما كنت أجرو على السير بتلك الصورة الرسمية لولا أن الكهل الانجليزي ما زال يسير بنفس الصورة الرسمية أكثر . بتلك الجاكيت الرمادية المحطمة المحبوبة على جسده ، ولصدري التقليدي ذي العشرين زواراً ، والقبعة الهندسية الصغيرة التي يبدو أنه يحملها أكثر منه يلبسها فوق شعره الحليق مثل شعري . فالحمد لله أنني لست مضطراً مثله إلى أن أقيم إلى الأبد في لندن ، متحملاً تلك الهمسات المرححة التي تدرود حولي وأنا أضيع دقيقة كاملة في عقد أزوار الصديري ، والسفات المحابية من انذاني كلما مروا بقبعتي المصححة حيث غلقنا على الشماعة بجانب باب السكة ، دعت من الضحكات المكتومة وهم يروني أحرق بالمشط في شعري الأشيب الحليق .

لأن الثمان الانجليز كما رأيتهم لا يمكن أن يكونوا قد رأوا الدلائل منذ احدثوا الابتدائية ، ومنهم من يستبعد أن يكون قد سمع بالحلاق أصلاً أقصر شعر على رأس شاب لا يمكن أن يكون قد حقق منذ عهد حكومة المحافظين أو على الأقل - في الحالات النادرة - منذ دورة برلمانية كاملة

خفانة كبيرة لاندائها وفعت ذات يوم بين ذلك الكهل الانجليزي الرسمي وبين ابنائه حين رفضوا الذهاب إلى الحلاق ، أو حين تظاهروا بأنهم قد ذهبوا إليه ثم عادوا وشعرهم أطول من قبل !

وبحجاب الخفانة جدل هادي - أو حاول الأب أن يجعله هادئ - حول الرحونة وطول الشعر ، وهل تتمركز رجولة الشاب في شعره أم تشيع في مختلف أنحاء جسده . مثل ذلك وشعر الأولاد لا سرح يخلو ، يوماً بعد يوم يتهدل على اكتافهم وملحبط الكهل المستعصر بينهم وبين اختهم بربارة . فادرك الرجل أنه أضعف من أن يحوص معركة ضد روح العصر كله . وانتهك في حريته منطاعاً بأنه لا يلحظ شيئاً عربياً ، وزيادة في التمويه على نفسه لا يرفض ميق الحدين والحدين أن يدفع لهم بصفة ثلثات نفق باجر الحلاق الوهمي . وحسبه على سبيل العراء أن حرقه على مستقبل الأولاد كان في غير محله ، وإن شعورهم المتهذلة على أوراق الاسته لم تمنعهم كما كان يتوقع من السباح في الامتحان عاماً بعد عام وكذلك راصر الرجل نفسه على الثورة الكسائية التي أعلنها الأولاد . فالتبس أنهم في علاقتهم بالملابس لا يحدون أن يشتموها بقدر ما يحبون أن يحترعوها ملابس عربية يصممونها وفقاً لأهوائهم ، وربما مرت فترة من الزمن وهم يلبسونها قبل أن ينجحوا في العثور على أسماء مناسبة لها !

واحد من أصحاب تلك الاختراعات الكسائية جلس أمامي أنا ذات يوم في القنطرة . فانه الجسم في شيء أرق المارن يشبه عذينة العمال دون أن يكون عذينة ، وما كنت لأعرف - أراء شعره الطويل المتهدل - أنه واحد لا واحدة إلا من أثار الموس في لحينه التي خلفها في الصباح . وعن يميني جلس صديق له يرتدي عذينة ررقاء معاكسة ، وشعره على العكس منه قصير سرجة تماثلي مشددة مع روح العصر . الأمر الذي يقطع بأنه يحضر من أسرة من عائلة المحافظين أن لم تكن من المتطرفين

وفجأة رأيت الشاب الأول - طويل الشعر - بعد دراهم متحيط بها حصر الآخر قصير الشعر ويشيح في طبع القنلات - صدق أو لا تصدق - على خذه وشفتيه !



ففعروني من الدهشة والاستنكار كل ما يمكنك ان تتصوره ، حتى بالرغم مما ذكرت من رفع التحريم عن الشذوذ التحليلي بقرار من هيئة موقرة كالبرلمان . ولم يفارقني شعور الصدمة الا عندما توقفت القبلات وسمعت الشاب طويل الشعر يخاطب الآخر قائلا له يا ماري : فهو وفقا لهذا الاسم بيت لا ولد . اللهم الا اذا كان الامر قد وصل به الى درجة اتحاد ذلك الاسم انساني . وحولة متأنية مني في تضاريس جسمه النائية وراء العفريتة الزرقاء - جولة بصرية طبعا - اقتعني بانها بيت فعلا ، الحليفة التي نكحت عندما نطقت البنت الصوت الانثوي العذب

اي اذني قد احضرت حين حكمت عليها بالدكورة استنادا الى شعرها القصير . كما كان يمكن ان اخطى لو حكمت على صاحبها بالانوثة استنادا الى شعره الطويل فعلا الشعر قد صار فبصلا للتفرقة بين الحسنيين كما ترى لا الشباب . الامر الذي قد يحدث الكثير من اللبس اذا امكن شباب العصر في هذا اللون من التكرار الجنسي . فربما اتى يوم يتعذر فيه عليك معرفة الولد من البنت ما لم تستوثق من ذلك بالسؤال المباشر . او بان تنتظر - اذا لم تكن هناك معرفة سابقة - حتى يدخل الكائن منهما الى الحمام فتنتظر اليه من ثقب الباب .

وسط هذه الكائنات الغريبة لا مفاصل من ان يشعر التقليدي بالغربة الحقيقية وسط اولاده ولعله يقول لنفسه - اذا كان متدينا - انهم علامة من علامات الساعة . لكن هذا الكلام لا يحل المشكلة طبعا . من ناحية لان معظم الشواهد الفلكية تدل على ان الساعة ما زالت بعيدة بعض الشيء . ومن ناحية اخرى لانه لا يخلو من العرور الصمبياني ذلك الربط بين الساعة - اية ساعة - وطول شعر الكائن البشري عند قياسه بالمسطرة

ومن السهل ان تلخص المشكلة بان نصف اولئك الشبان طوال الشعر بالميوعة او بالرقاعة ، الامر الذي لو صح لوجب تعليق لافتة

في مطار لندن تقول للقادمين مرحبا بكم في عاصمة الرقاعة ، ولوزعت أكثر من نشرة سياحية تقول يارفعاء العالم اجتمعوا في لندن ! ولكن الامر لا يحل بهذه السهولة ، واذا كنا هنا نصف شباب طويل الشعر بالرقاعة فذلك لانه لا يغير عن شيء سوى رغبت من التقليد الاعشى . اما اذا راينا حبيلا كاملا من الشباب العري يرسل شعره فحدير بنا ان نتردد قبل ان نستخدم تلك الكلمات الكبيرة العائمة عن الرقاعة والميوعة والتحدث الى احدهم ما في قاموسنا الاخلاقي . فلبسوا رقعاء ولا مخشين اولئك الالف من الشبان طوال الشعر الذين عرصوا انفسهم لهرافات الموليس وعازة المسيل للدموع وهم بهاجمون السدارة الامريكية وهيلتون لندن ، ولا اقرانهم الفرنسيون الذين مصبوا المناريس في شوارع باريس واحتلوا السوربون في سبيل قضية يؤمنون بها

اسما هم يريدون ان يقولوا شيئا بتلك الشعور الطويلة وملك العلابس التي توقع اللبس بين الذكر والانثى . هم يبحثون كما يخيل الى عن مفهوم جديد للرجولة . كارهين ان تنحصر رجولة الرجل في شعر يحلقه او صديري يبرزه على صدره تحت جاكته كنيية مخططة . واعلمهم كرهوا مفهوم الرجولة التقليدي كله ، وارادوا ان يثبتوا ان شابا طويل الشعر يحتاج على حرب فيتنام احسن وارجل من رجل قصير الشعر يشعلها !

لو اوتوا البلاغة الكافية لاحتجوا بالكلمات . لكنهم في زحام المشاعر العتلاطية المنحشرة في عمق الزحاجة قنعوا مؤقتا بالاحتجاج بالشعر الطويل والعطس الغريب . هم يتكروا مبادئنا كلها نحن الكهول . وما شعريا القصير وتياسا المهذمة الا رمزا لتلك المبادئ . فلو أننا كنا مطبل شعرتنا - نحن أبناء الجيل القديم - لخلقوا رءسهم زلطة . ولو كما شمس العفريت والميكروجينات للبسوا السموكن شبانا والعطس شابات !

هم يحتفروننا ولهم والله عذرهم ، بشعورنا الحليفة ورجولتنا

المريضة يرسلهم الى كافة بفاع الارض ليموتوا الناس وليموتوا  
 وشعارات كثيرة ترددها على اسماعهم عن حقوق الانسان بدون  
 تعريف دقيق لذلك الانسان . هل هو الرجل الكاذب في سبيل  
 ساندويتش من الكلاب الساخنة او الرجل البكير الحالس يحصى  
 نفودا تفوح عنهم رائحة النماء والبارود . ومعابد ندعوهم اليها  
 ليسمعوا صوت السماء ، وما في سمائنا الا طائفة من الشياطين  
 الذرية تعوى وتحنق ترانيم الملائكة .

مارضنا في الحقيقة في حال من الفوضى التي تثير في النفس  
 كسلا شديدا عن التردد على صالون الحلاقة ، والله لو عرفت -  
 انا الكهل - ان شعري سوف يتهدل لو ارسلته لفعلتها من زمان !  
 لكنني اعرف انه سوف يرتفع الى اعلى ويتشاك ويتعقد حتى  
 تصبح راسي مثل حقل من التين الشوكي ! وبمثل هذا الشعر ان  
 يكون لي نفع كبير في غير يوم يخطر لزوجتي فيه ان تزحف السف  
 وتتلفت حولها ماحقة عن راس العمد فلا تعد سوى راس العمد لك !

## ذوات العيون الجريئة

الصعوبة المناسبة لذكر شرقى سلى مرعت بصري عن الثروة  
 التشريعية المنبثقة من جوف العيكروجوب الجالس امامي في مترو  
 لندن . ذلك الثوب الذي لا اجد شيئا اخذه عنيه سوى ما لا بد ان  
 سوف يضيحه على العريس من مباحج الاكتشاف في ليلة الزفاف  
 ورفعت - بصري طبعاً - الى وجه الفتاة صاحبة الثوب حيث استقر  
 منه على عيني زواوين واسعتين طالعتني فيهما ذلك الشيء الذي  
 طالما حيرني كلما نظرت في عيون بنات الغرب . والذي يمكنك ان  
 تقول - اذا اردت ان تحسم الامر بسرعة - انه نوع غير متوقع من  
 الحراة والحدة والالتحام في الحين الحريمي

نعم هي جريئة جدا عيون بنات الغرب . جريئة وصريحة وحررة .  
 مع رجاء مني للقارئ ألا يشرع في الشمنعة بانفه الشرقي  
 ويبحث في تلك الحرية الجريئة عن اية راحة للجنس . فرب نظرة  
 حية متلصصة في اعين ناعسة شرقية تثير من احياء الجنس  
 اضعاف ما تثيره تلك النظرات الجريئة في عيون بنات الغرب . فهي  
 جراءة من نوع جراءة الرجل في استطلاع ما حوله من الاشياء وفي  
 تفحصها واضائة النظر الى ما يثير اهتمامه منها . تلك الحراة التي  
 لا علاقة لها بالحسن من قريب او بعيد . فملك محتاج الى ان  
 تفرص في اعماق انوف الغربى لكي تغتر على تلك النظرة الشرقية  
 المتلصصة في عيون البنات . تحت ظن مبين بان تلك النظرات  
 العصرية المفتحة شيء يتنافى مع ادب الانثى او حتى مع  
 شرفها

ومن حقبة يدها اخرجت الفتاة علبة سجانر كنج سايز . ومن

العلبة اخرجت سيجارة وشقتها - عقبال الحباب - بين شفتيها -  
وسحابة من دخان عاطر غادرت صدرها وتسلك الى صدرى  
لتداعب الشعب الهوائية الدقيقة فى رثى . فلو ان شبيبا من ذلك  
حدث فى توام القاهرة لربما سوى تلك الدخان فى تخاى الشوكى  
حتى وصل الى اصابع قدمى . متسببا فى صدمة غير متعمدة من  
هذائى لعداء السيدة تحت الكراسى . على سبيل رد الفعل  
المنعكس الناشئ عن فكرة خاصة بشأن الانثى التى تتعاطى  
الكيف فى مكان عام !

لكن منظر هذه المدخنة السكسونية كان مختلفا تماما . وما  
استطعت ان اقرا فى تلافيف الدخان المتماوج بيننا اى شىء غير  
ما افروء فى الدخان المبعث من قم اى ذكر خرماس بنلس  
البساطة التى اعالج بها سيجارتى تعالج هى سيجارتها . باصبعين  
طويلتين مخضبتين بعزيج من المانيكير وصفرة النيكوتين  
هى اشتاقت للسيجارة فاشعلتها . ماذا فى ذلك ؟ ولماذا يكون  
من حقى - انا الذكر - ان انفخ دخانى فى وجهها دون ان يكون لها  
حق الرد بنفخة مماثلة ؟ منطق معقول بغير شك وان كنت ارجو الا  
نستنتج منه اننى اشجع الحريم على التدخين فى الاماكن العامة او  
فى اى مكان آخر . فلاشك ان مدخنة شرمة من هذا النوع سوف  
تنخرط كل صباح فى نوبة من السعال والبصاق بصورة مزعجة  
لزوجها . بل ومزعجة لصديقها اذا تصادف وجوده فى تلك الساعة  
المعكدة

ومن خلال الدخان رايت فى العيون الجريئة نظرة اقرب الى ان  
تكون زغرة . ان طال تعرسى فى وجهها بما اوقعها فريسة للطنون .  
متوهمة اننى ارمى بنظراتى المتطفلة الى اكثر من الدراسة الباردة  
لما هو متمثل فيها من نموذج للانثى المشربة المعاصرة فى شمال  
غرب اوربا . فبادرت الى غش البصر مخافة ان الصق نهمة  
الوقاحة يبنى جلدتى عن اهل الشرق . وليست غلطتى بالطبع انه -

بصرى - وقع من جديد على الركبتين الجريبتين وما يتاخهما من  
الملحقات الميكروجوبية

لاحظت من التأمل الصامت للانوثة الصارخة هناك . ثم خطرت  
لى الفكرة التى جعلتنى اعود بمصرى الى عينيها . شاعرا باى قد  
وقعت احيرا على سر ذلك الشىء الغريب فى عيون بنات العرب  
نعم هو نوع من الجراءة والحرية كما اسلفنا ولكن الامر فيما يبدو  
اخطر من ذلك بكثير . لان تلك الجراءة المصرية ترجع فى اغلب  
الظن الى ذلك السبب غير المتوقع بالمرة من لابسنة هذا الثوب  
الصفيق . انه لا يوجد عندها اى نوع من الشعور بانوثتها . مثل  
الرجل تنظر الى الحياة بجرأة ومثل الرجل تنفخ الدخان فى وجوه  
الاغراب . لا لامها فاجرة او لانها مستميتة فى الدفاع عن حقها فى  
المساواة . وانما لانها قد مرت فى تطورها بعدد من المراحل التى  
استتها نهائيا اسها تختلف عن الرجل فى اى شىء . نهائيا نسيت  
انها انثى . ولعلها ما ليست هذا الثوب الصارخ الا خوفا من ان  
اتردى انا الآخر - الذكر البشرى - فى تلك الهاوية من نسيان  
حقيقة انوثتها !

من هنا نشأت تلك النظرات الحرة المفتحة . وكل ما احب ان  
اسميه بالحرية الحركية العامة لآنى الغرب . فلعك قد لاحظت ان  
هناك طقوسا خاصة لحركة الانثى الشرقية . حتى عندما تكون  
جالسة لا تفعل اى شىء . الجلسة الملمومة مع وضع ثابت معلوم  
لكل عضو من اعضائها . والامساك عن اتيان اى حركة عنيفة او  
مفاجئة تتعالى مع مفهومها العلم عن اعنارات الحشمة . فهو انثى  
قبل ان تكون انسايا . ولربما اشتد شعورها بانوثتها حتى يوشك ان  
ينسيتها انسانياتها . ولربما خالط هذا الشعور الزائد بالانوثة نوع من  
الشعور بالنقص او حتى بالاثم . واحساس عام . بالعورة . يشيع  
فى كل كيانها كان الله تعالى يريد ان يعاقبها حين رقت ان يخلقها  
رجلا . وحين ارسلها الى الحياة فى تلك الصورة الانثوية



الناقصة . الى الابد تسير في الحياة محمرة الوجه وسط الاف  
العيون الزائفة .

كل ذلك خلصت منه الانثى الغربية تماما . ومن كافة الطقوس  
الحركية التي تفرضها سائر المجتمعات على انثى البشر ، وهو بغير  
شك كسب كبير لها . ذلك الشعور الحديدي بانسانيتها من قبل  
انوثتها . وتلك الشخصية العريضة المنطلقة مثل شخصية الرجل  
وهو في الوقت نفسه كسب للأطفال الذين تشرف على تربيتهم ،  
والذين يتشربون يوما بعد يوم بتلك الشخصية المريضة المتفتحة  
لكنني اتردد كثيرا قبل ان اقول انه كسب للرجل الغربي ، الذي  
لاشك في انه يحتاج الى قدر كبير من النش المجهد في طبقات  
انسانيتها الكثيفة قبل ان يصل الى الانثى الرابضة في اعماقها ا  
ولعل هذا هو الصعب فيما لمحه هنا وهناك من شواهد صغيرة  
توحى بان الانثى الغربية قد بدأت تتسلم زمام المبادرة في تلك  
الامور ، وانها هي التي . تنكش . الرجل بنفسها عندما تتذكر فحاة  
انثى انثى ا وفي القبلات الكثيرة التي لاتبرح تطرق حولي في  
الشوارع والاتوبيسات ، وليس هنا موضع تقييمها اخلاقيا . كانت  
الانثى في معظم الاحيان هي التي تسعى اليها ، غير متحرحة في  
سبيل ذلك من جذبة مرحة للذكر العتود مع مط نحوه للبوز اللانم  
العطشان !

ومهما بحثت عن فلسفة تفسر بها هذا التطور في شخصية  
الانثى الغربية فلن تجد شيئا سوى العمل ، العمل من التاسعة  
صباحا الى الخامسة مساء بدون توقف الا للقمة تخطيها في  
منتصف اليوم وفتحان قهوة . مثل الرجل تعمل ومثله تعامل حتى  
نسيت . كمانسى الرجل . انه يوجد بينهما أي فرق . والدليل على  
ذلك انه حتى في مجتمعنا الشرقي الذي نزلت المرأة فيه الى ميدان  
العمل منذ عهد قريب . يمكنك ان تلحظ الفرق الشاسع بين المرأة  
العاملة وبين ست البيت في النظرات الحريية المفتحة . في  
الحرية الحركية العامة . والحمد لله على اننا لم نصل بعد . وارجو

١ نصل . الى تلك المرحلة التي احتاج فيها الى لكزة في جنبى من  
البيت او تلك تتبهنى بها الى انثى بنت لا ولد !  
وانثى سكسونية اخرى جلست امامي في مترو لخرة فاما كما  
احظ قد نفعت هيئة النقل العام اللندنية بشدة ! . لاحظت انها  
عيل القوس الى وجهي بواحدة من تلك النظرات الجريئة تحالطها  
منه العرة لمسة عذبة حالمة . فانتفخت اوداجي وان كنت لا اعرف  
على وجه التحقيق ما هي اوداجي . وقتت لي نفسي انه لابد ان  
كون سحر الشرق وقد بدا يفعل فعله في قلوب بنات الغرب . ولحاجة  
رايت رأس انثى المحملة يميل الى الامام شيئا فشيئا حتى كاد  
يسقط على صدرها . لولا ان صارت برفعه مع الرمش الشديد  
مالعينين . فلا سحر شرقى هناك ولا يحرمون . والحكاية كلها ان  
لمنت متعبة تغالب النوم . بعد يوم من العمل المجهد الذي ادا  
عن جسمها شحم الاثونة كما اراه من قبل عن جسم امها وجدتها  
وفي ذاكرتي اقتش عن أي انثى مصرية رايتها . الانثى المصرية  
العاملة . لم تصل حتى الآن الى الدرجة اللازمة من الاجهاد  
واكون شاكرا لو طردت تلك العكرة المسخفة التي اشعر بها متلاعب  
في دماغك . فانا واثق بان تلك البنت كانت مجهدة فعلا . وانه لا  
توجد اية علاقة بين منظري الخاص وبين ذلك النوم الذي كبس  
عليها لحاجة

## مطر .. وزبيب .. وجنس

شعور بالقيظ الشديد وبالتناقض العريك ساورنى حيث سمرت رافعا فوق رأسى تلك الشمسية السوداء المضحكة ، محتما فى شهر المسطس لا من شمسه المحرقة كما يقضى المنطق وإنما من تلك الامطار اللعينة التى لا تبرح تتساقط على لندن طول الوقت وارجو ان تكون قد اهتمت عند كلمة « تتساقط » باعتبارها نكتة ، فالمطر هنا لا يتساقط مثل سائر الامطار بل يهطل وينهمر وينسكب ويندلق الى آخر ما يحضرنى من الافعال المفرقة

فأقل ما يوصف به أنه مهين للكرامة البشرية ، ذلك المطر الانجليزى الوجد ، كان السماء تقول على الأرض او كأنها تريد اعلان رأيها فى الجنس البشرى ببصفة كبيرة مركزة . فلا عجب ان ابتدع الانجليز ذلك التعبير عن السماء التى تعطر قططا وكلايا ، وما اختاروا فى اغلب الظن تلك الحيوانات اللطيفة الا احتراما لاسماع العيال . فهي فى الحقيقة تعطر ثعابين وعقارب وحلاليف وتيوس ، ورياح مثلجة تعصف حولى وتتفذ كالسم فى عظامى ، أمشير المصرى نفسه لا يعرف يرذا كهذا البرد . فلا بد ان اجلس ذات يوم لكى اكتب بحثا عن العوامل السيكولوجية الكامنة وراء انتشار الانجليز فى الأرض وتكوينهم للامبراطورية . هم كانوا يريدون الخلاص بآية طريقة من جو بلادهم المنحط ، ولعلهم ماكانوا يطلقون رصاصة واحدة لو وافق اصحاب الفارات المشمسة على منحهم تأشيرة دخول

اسفخص على ذلك الجو ثم اسفخص

## لى عصر التكنولوجيا

لم اكن مشتاقا لاكل الزبيب المغلف بالشوكولاته ، ولكننى اردت ان امارس تلك المتعة الصببانية البريئة متعة ان ادس قطعة صغيرة من العملة فى ثقب معين من الماكينة الشبيهة بالميزان الاوتوماتيكى ، ثم اشد شيئا لى اسفل الماكينة لتطلع لى علبة الزبيب

ولست من عشاق الكازورة بمختلف انواعها ، ومع ذلك فقد شربتها أكثر من مرة لنفوس السبب ، متعة الحصول على زجاجة البيبسى عن طريق قطعة العملة اودعها فى ثقب الماكينة . ودعك من علب السجائر التى اشتريها بنفوس الطريقة من الماكينات الخاصة ، التى لا تكتفى بان تعطيك العلبة التى اخترتها بل وتعطيك فى الوقت نفسه باقى النصف كراون ! اذ تسمع شخلة لطيفة للبنس الذى سقط من جوف الماكينة فى فتحة خاصة تمد اليها اصمعا مرتعشة - من المتعة - وتسحب منها

وذات مرة وضعت قطعة العملة المطلوبة فى الثقب وذا بها نزل فى الوعاء المخصص دون ان تقدم لى فى مقابلها اى علبة فالتفتت العملة وارادتها فى الثقب من جديد ، واذا بها نزل لى فى الوعاء المذكور مرة اخرى . كلما اودعتها نزلت لى واما لا اهم لى لماذا يحدث ذلك الى ان ظهرت لى على لوحة خاصة كلمت كهربائية تقول : لا بيع ! اى أنها - الماكينة - قد صبرت على كل ذلك الوقت منتظرة ان اياس واصرف فلما وجدت لى لا اياس لم تحد مقرا من اخطارى بتلك الكلمات انها تعتذر عن البيع لسبب او آخر فابتعدت عنها متلفتا حولى بالفخل المناسب من عباطتى . وحمدت الله على اننى قد رايت تلك الكلمات وامتنعت عن مواصلة ايداع العملة ملحا فى طلب العلبة . فلا يستبعد لو اننى واصلت ازعاج الماكينة بهذا الشكل ان تظهر لى على اللوحة كلمة نهري . تزعمنى بالرجم من أنها بالكهرباء وتحملنى الضحكة العكان

فلست ادري لماذا لا نستورد عندنا تلك الماكينات اللطيفة او نصنعها ، فلا شك ان ماكينة من هذا النوع سوف تدخل الى اكثر من قلب مصرى ، ولا داعى بالطبع لاشتراط الزبيب المغلف بالشكولاته او البيبسى . حسنا اى شكولاته تصنع عندنا او علبة بستية او باكو لبان

وبالنسبة للتازوذة اعتقد ان تلك المتعة الاوتوماتيكية فى الحصول على الزجاجة سوف تجعلك اقل انزعاجا عند وصولك فى تجررك للمساكن الى الصرحار الصغير السابح فيه . نعم نحن فى حاجة الى ذلك النوع من الماكينات فى هذا الوقت الذى اكونا فيه من الحديث عن فنون التكنولوجيا

### عن الحرية والابتذال

بخطوات واسعة واثقة سارت الفتاة فى لباس غريب لا تعرف ان كان بدلة اخيها او بيجامة اختها وعلى صدرها الحرى وبالخط العريض نقشت تلك الكلمة الصغيرة ذات الحروف الثلاثة SEX وهى معناها ان كنت لاتعرف . الجنس . تلك الكلمة التى لاظن انك - مثلك فى ذلك شأنى - قد رايتها مكتوبة على صدر اى بنت ، حتى ولو كانت من ذوات الدوسيهات

فإذا تركنا الاخلاقيات حايبا ، وإذا تركنا فكرة انه اعلان لا لزوم له بالمره شأنه شأن لوحة اعلقها انا على صدرى تقول للناس اننى صحفى . ليس من شك فى اننا لاتستطيع ان ننكر على الفتاة تلك الدرجة النادرة التى تتمتع بها من الجراءة والقدره على التحدى كما اننا - وهذا اهم - لا نسمعنا سوى ان نشهد بالقدره الغدة للشارع اللندنى على قبول هذا اللون من التحديات . وسط الزحام تختال البنت باعلانها وليس ثمة من يعترض طريقها او يلقي اليها مالا . تماما كما لو كان المكتوب على صدرها اعلانا عن ماركة سجاير او فيلم سينمائى . او حتى حكمة او قولاً مأثوراً انظرات سريعة تقرأ الكلمة ثم تترك عنها . يابئساعة صغيرة ساخرة هنا او هناك

اعلان كهذا لا يمكن بالطبع ان يظهر فى الشارع القاهرى . حيث ان مفهومنا القانونى لما بخدش حياء الناس سوف يفوق كل المساكر حق القبض عليها وكل المواطنين حق التبليغ عنها . ولكنه حتى بغير الناحية القانونية لا اظن ان يتنا بهذه الصورة يمكن ان تظهر فى شوارع القاهرة . فلو تصادف ان وجدت البنت التى تحتكم على هذا القدر من الجراءة - وهذا مستحيل - فهى تعرف جيدا ماذا سوف يحدث لها . هذا المشوار سوف يكون فى اغلب الظن مشوارها الاخير . بسبب مئات الذئاب الذين لاشك سوف يتكالبون عليها لاسيما لو سولت لها نفسها ان تتركب الترام حتى قبل تجربة شبرا . وهذا بالطبع ما لم يستل احد اهل الورع مسكينا او مطواة ، وموقلا مستغفرا ينفذها فى صدر البنت ويضمن قصرا فى الجنة

بديهى ان ذهنت لم يتجه الى اننى - فى حديثى عن جراءة كل من البنت والشارع اللندنى - احبذ هذا اللون من العناوين على صدور البنات او على اى مكان اخر من اجسامهن . لالابتذال لم يكن فى اى يوم من الامور التى تستهوينى . انما اردت ان اسجل للشارع اللندنى قدرته الغدة على ضبط النفس . وعلى ميالفته فى تقديس حرية الفرد حتى فى ان يبتذل نفسه

وفى النهاية لا افهم السبب الذى من اجله اكتفت البنت بتلك الكلمة الواحدة مع ان صدرها كان يتسع للمزيد من التفاصيل ولا شك ان عنوانا كبيرا كهذا كان يحتاج الى بعض السطور الصغيرة التفسيرية . توضيحا منها لماذا تعنيه على وجه التحقيق بكلمة الجنس . هل هى مثلا معه او ضده . هل تعنى به الجنس بين الازواج او بين غيرهم . على سبيل التسلية او التجارة ؟ وما الى ذلك من المعلومات التى يحتاج اليها غريب مثلى فهذا هو احد العيوب التى ضابقتنى فى الانجليز ميلهم الشديد الى القموض



## عن القط البريطاني

كان يمكن أن يكون شكله في منتهى العباطة حيث وفقت على الرصيف بإسقاط خريطة لندن ، متر في متر ، لكي أعرف أين أنا على وجه التحقيق ، لولا أنه كان يوجد حولي نحو ستة أشخاص من جنسيات مختلفة وقد بسطوا خرائطهم الخاصة وراحوا يحملون فيها على نفس الرصيف بنفس الحيرة ونفس التوهان ونفس العساسة

فلقد احتجت إلى اسموع كامل لكي أكتشف أن نصف من اصطدم بهم في شوارع لندن ليسوا من أهلها ، وأن لندن قد تحولت من عاصمة إمبراطورية إلى ما يشبه حديقة الحيوان عندما يوم ضم المصم ، فبعد أن قضى الانجليز قرابة قرنين من الزمان وهم يبيعون منتجاتهم في كافة أنحاء الأرض بقوة السلاح ، وبعد أن جرى للسلاح ما جرى ، لم يجدوا أمامهم طريقة لاستثمار لندن سوى أن يؤجروها مفروشة ، مثل النبل الذي تهدده مصلحة الضرائب بأشهار الملاس فيزيل الأسلاك الشائكة من حول قصره ويحس الكلاب المفترسة ويفتح الأبواب لكل من يحب أن يتفوح على أمجاد التاريخ بعد أن يدفع للبواب ثمن التذكرة .

ومن المؤكد أن في لندن أشياء كثيرة تستحق أن يتفوح عليها الإنسان ، حتى بعد أن نسقط من حسابنا تغيير حرس الملكة والبطلة الأثرية التي قطعت بها رأس أن بولين بأمر من زوجها هنري الثامن ، بعد أن كان قد طلق في سبيلها زوجته الأولى كاترين ، مضطرا في ذلك إلى تحويل بريطانيا من الكاثوليكية إلى

البروتستانتية . ذلك أن لندن تتميز على سائر المدن السياحية بخاصية فريدة حقا ، وهي أنها المدينة الوحيدة التي يمكنك أن ترى فيها - أيا كانت جنسيتك - شيئا كان ذات يوم عندك أنت ! وهكذا تزدهم الشوارع بالآلاف الثائمين الذين يحملون في الخريطة بالبلاطة السياحية المناسبة والمساحة الزرقاء التي تعمل على خريطة نهر التيمز فوجئت بها وقد تحولت بقدرة قادر إلى مجرى مياه حقيقي ، تحت ذلك الوابل من المطر اللندني الوغد الذي بصقته السماء فحاة لتفرق كلا من الخرائط والمقلبين الذين يحملونها !

## القط البريطاني

لأول مرة في حياتي أقضى ليلة في حجرة تحت الأرض . في البديرون - أو البديرون إذا كنت تفضل الميم - الذي يشرف من تحت إلى فوق على رصيف الشارع اللندني . السبب في ذلك بالطبع هو ضيق ذات اليد . فمن أين أحصل في لندن على العملة الصعبة وأنا الذي أعاني في القاهرة كل ما أعانيه في سبيل الحصول على الأخرى السهلة !

لكنني والحق يقال لم أشعر بكل ما كان يجب أن أشعر به من الضيق بسبب ذلك الضيق في ذات اليد ، وذلك لما يسهل عليك تخيله من أنواع النسائي المتوقفة في عملية التطلع من أسفل إلى أعلى إذا تصادف أن كان الوقت صباحا وفي عاصمة ربيها الرسمي هو الميني جوب ! فبينما أنا أحلق إلى تلك النسائي من خلال القضبان الحديدية للمنافذة وجدت شيئا من الصعوبة في منع نفسي من أن أضحك لوحدى كالعبيط ، منذكرا ما يشكو منه سكان البديرونات الانجليزية من النظرات المتطفلة لما يسمونه ، نوم البصاص ، ذلك الشاب الذي يعتمد التخلص بالنظر إلى مجريات الأمور في تلك الحجرات الواطئة خصوصا عندما يحل من الظلام ما

يخفيه عن العيون وما يهيم لسكان الحجرة أن يخفيهم . إذ كنت  
أنا - في ولغتي تلك أنظر إلى مواكب المينى جوب العابرة - أول قوم  
يتحصن على الناس من الداخل إلى الخارج .

لكن ذلك الموكب البشرى ما لبث أن هدا بذهاب الناس إلى  
أعمالهم ، ومن خلال القضبان الحديدية قابلتني عينا خضراوان  
برائقتان ، في وجه مستدير لقطة بريطانية تقف على رصيف  
الشارع ، كثيفة الشعر نائشة الذيل منقبشة اللون مظللة بشدة  
قلت لها بسبب مفاجبتني من حيث ولغت على الرصيف قائلة نو ،  
الأمر الذي طمأننى إلى أن لغة القطط في لندن هي نفس لغتها في  
القاهرة ، وأنه بالرغم من اللكنة الخفيفة التي تشوب نونوة هذه  
القطرة قلن يكون عسيرا على أن اتفاهم معها ، ولربما كان تفاهمى  
معاها أيسر من تفاهمى مع أصحابها الذين لا أفهم بالرغم من  
إجادتى التامة للغتهم المكتوبة شيئا مما يقولون .

وقطرة وشيقة نقلت القطرة إلى حافة النافذة ، تمسحت بجانبها  
لحظة في أحد القضبان ثم وثبت الل أرض الحجرة تتشمع الدنيا  
حولها ، راقعة في خلال تحوالها ذنبها النافس الذي قال لى أنها  
ليست قطرة وإنما قطا .

- ناو .

هكذا قال من جديد وهو يرفع نحوى نظرة خضراء مناشدة ،  
فتذكرت علبة الفراخ المحفوظة التي كنت قد اشتريتها لزوم الغداء  
مكثا شلن وسنت . ومن العلبة أخرجت قطعة نسيرة وضعتها له  
على الأرض فوق ورقة من الملحق الاقتصادى لحريدة التايمز ،  
حيث أنه من المستبعد أن تكون هناك فائدة كبيرة لذلك الملحق  
بالنسبة لرجل يسكن تحت مستوى التيمز ، لاحظ الفرق بين  
التايمز والتيميز لكيلا تتورط كعادتك في ذلك الخلط المضحك بين  
الكلمتين .

فى وقار لزوم له فى ذلك الموقف تقدم القط من قطعة الفراخ .

تشمعها لحظة بأنفه السكسونى العسلنى ثم رفع بصره نحوى  
قائلا ناو ، الأمر الذى فهمت منه أنه لما أنه يشك فى الدوافع  
الكامنة وراء هذا الكرم غير المتوقع من ناحيتى ، وأما - وهذا  
مستبعد طبعاً .

- أنه لا يحب الفراخ .

- ماذا تعنى بقولك ناو ؟ لماذا لا تأكل ؟

هكذا سألته بلغته الانجليزية فلم يزد على قوله ناو ، وكان فى  
لهجته هذه المرة نبرة عتاب لم أهتم لها سبباً ، ثم أدنى أنفه من  
النسيرة وشمها من جديد ، وبهية من يقبل على مقاومة خطرة  
قضم منها بأنسنانه فتعوتة صغيرة ، لأكها حيناً فى فمه ثم ابتلعها  
بصعوبة ، متوجساً فى أغلب الظن من أن أكون قد دسست له السم  
فى الطعام فى ذات نزوة مصرية رسبت فى تقسى من أيام  
الاحتلال

- كل متخافش كل أطعم .

لقضم فتعوتة أخرى وهذه لم يستلها بل بصقها ، ويهز رأسه  
بقوة لكى يطرد جزءاً منها علق مشعرة من شاربه ، ثم رفع يده إلى  
فمه وحكه لكى يزيل عنه كافة الآثار ، وابتعد عن المكان كله وهو  
يحمر قائلاً ناو ، فهو إذن - قطعاً وجزماً - لا يحب الفراخ أو على  
الأقل لا يحب الفراخ المملبة ، وإذا كان قد أكل تلك الفتوة فما ذلك

الا على سبيل جبران الخلط ورغبة من ناحيته فى ألا يكشفنى  
وبناو أخيرة توديعية قفز إلى حافة النافذة ومنها إلى الرصيف ،  
وابتعد وهو لا يزال يهز رأسه لكى يطرد عن شاربه - وعن ذاكرته  
أيضاً - كل ما تبقى من آثار الفراخ التى سوف اتلدى بها أنا  
ولعله وهو يفعل ذلك ترحم على الأيام الحلوة القديحة حين كانت  
الفراخ فراخاً ، وتصعب حمرة على هذا التدهور المتواصل فى  
المستوى السياحى .

فراقبته يبتعد وأنا اتصعب بدورى أسفا على هذا الترفه -  
المرضى يغير شك - الذى وصل اليه القط البريطاني - وهو بالطبع  
مسئولية التاجر البريطاني الجشع ، الذى فى تصيده للشللات  
والسمات بكافة الطرق عمد الى تلك الحيلة الدنيئة التى رأيتها على  
أحد الرفوف فى أحد محلات البقالة ، ممثلة فى علبة تحتوى على  
غذاء خاص للقطط ، مكون كما تقول العلبة من توليفة فادرة من  
شحم الخنزير ولحم الدجاج المفروم - فلماذا والحال كذلك لا يعزف  
القط الانجليزى الوغد عن الغدوة التى كنت أنا اعتبرها نوعا من  
الرفاهية حيث أقيم تحت الأرض ؟

فلفت النسيرة فى الملحق الاقتصادى والقيت بالاثنتين فى  
صندوق الزبالة ، قائلا لنفسى انه ليس من الغريب أن يصل القط  
الانجليزى الى هذا الحال بعد قرنين من الزمان قضاهما الرجل  
الانجليزى فى عرض عباد الله وحريشتهم فى أربعة أركان الأرض !  
وعلى أى حال فالحمد لله على اسمى فى لندن لا فى نيويورك ،  
لعمد المقارنة بين درجات الثراء ما أظننى كنت أنجح فى استمالة  
أى قط هناك ما لم اعزمه على الغذاء فى هيلتون !

## من هايد بارك

عند ذكر هايد بارك قد يتعه ذهنك الى خطباتها المشاهير الذين  
يقفون صباح كل أحد لكى يعبروا عن انفسهم فى مختلف القضايا  
السياسية والدينية ، فاشلين غالبا فى اثبات صحة آرائهم وتاجحين  
دائما فى استنارة سخوية الناس منهم ، فليس من الحكمة ان تقف  
لكى تدافع عن الكاثوليكية ضد البروتستانتية وسط مجموعة من  
الناس أو شكت ان تكف عن الاهتمام بأى من المذهبين . وليست  
هناك أية مناسبة لان تضيق يوما كاملا فى الحديث عن بضاعة  
الحرب الذرية مستخدما نفس الاسانيد التى قرأها مستمعوك فى  
جريدة الصباح أما اذا خلعت فانلتك عن جسم مغطى بأنواع  
مختلفة من الوشم الأزرق والأخضر فلا أظنك ستظفر من  
المجتمعين حولك بأكثر من شعور بالأسف على أنهم لم يذهبوا الى  
حديقة الحيوان !

معظم أولئك الخطباء ، ليسوا أكثر من نفوس حائرة تعسة  
ضلت طريقها الى العبادة النفسية ، ووجدت فى هايد بارك مكانا  
تتنفس فيه تحت حماية القانون عما يعتمل فى صدرها المكروب  
فلا شك أن ، أعقل ، أولئك الخطباء هم تلك السيدة البديئة التى  
تجلس وفى يدها عصا تقزع بها صليحة قديمة فارغة ، وتنفذ على  
الابقاع وبصوت مصحك الخائى قديمة يرودها بعض المتفرجين على  
سبيل المجاملة . فهو وفقا لذلك - ركن الخطباء بـهايد بارك - نوع  
من العبادة النفسية التى يقوم فيها المجتمع كله بدور الطبيب لتلك  
النفوس الحائرة ، ومن الانصاف ان نقول ان ذلك المجتمع قد نجح  
حقا فى تكمين دور الطبيب ، الذى يستمع فى صبر طبيب لهلوسة  
المريض ولا يبعد الى الطريقة عليه فى نزوات السخوية المتباعدة  
بأكثر من سبقه الى اكمال جملة له يكون قد سمعها منه فى أيام



## الاحاد السابغة .

غير انه ليس من اللازم لذهنك ان يتجه الى الخطياء عند ذكر هايد بارك فاعلم ان الطن انه سوف يتجه - انا عارف ذهبت كريس - الى ما ترتبط به تلك الحديقة في جرائدنا من حرية جنسية متفاوت درجاتها وفقا لمراح ونيس التحرير . قلعله عما يفجعت ان تعلم اننى ذرعت هايد بارك اكثر من صباح دون ان ارى اى نوع من القبلات - لا ياريس رايت ذات صباح قبلة واحدة خاطفة ! فلعل السبب في ذلك ان الناس يكونون في ذلك الوقت في اعمالهم ، او لعل التقبيل الصباحي مفضل هناك في حديقة ريجنت . حيث لمحت في نهاية رقعة الحشائش الخضراء المترامية شخصا راقدًا هناك ثم استوى جالسًا فاتضح انه ليس شخصا وإنما شخصان ! غير ان الموقف يبدأ في التحسن بالطبع حين ينزل ضوء النهار ، اذ سمعت ذات يوم بعد الغروب - هناك حيث جلست على كرسي طويل من القماش ايجاره بالنهار تسعة بنسات - صوت زفرقة لعصفور سبى . الخلق بدليل تأخره في اليوم الى ذلك الوقت . ثم تبين لى انها طرقة لقبلة بين شبحين يجلسان غير بعيد منى على مقعدين متلاصقين بالدرجة المناسبة ، فلربما كان التقبيل الليلي هناك راجع الى العوامل الاقتصادية البحتة ، باعتبار ان القبلة مهما كان نوعها - ولا سيما بعد تخفيض الاسترليني - لا يمكن ان تساوى ١٨ بنسا !

ولقد كان يسرنى ان امكث هناك بعض الوقت لكن ارى كيف تتطور الامور بعد حلول الطلام الكامل . ولكنك تلاحظ انه قد مضى ربيع ساعة من الزمان قبل ان ينزل اى نوع من المطر او تحت ذلك المطر اللندنى الذى انهمر فجأة كان من الصعب على ان اربط في الحديقة مهما بلغ من قبل ما عندي من مقاصد الاستكشاف . وحتى لو تحدثت الامطار وبقيت فلا شك ان منظرى حيث احلس هناك تحت الشمسية ان يكون منظرا مريحا للرأى العام اللندنى - خاصة وانا لا اقبل احدا ! سوف يظنون اننى مجنون هارب من مستشفى

المعاذيب او عاقل فى طريقى اليه ، او اننى - نوم - بصاص يتنكر تحت اسم محمد . او اننى لص انتظر لحظة انسجام بين زوج من العشاق لكن اسرق محفظة الولد او شنطة الفتاة . وهذا بالطبع مالم اكن رجلا من بقايا المتطهرين يفكر في ذبح المذكورين لكن يكسب شيئا من الثواب

ومهما كان من امر - ومهما اشتد الظلام - فليست اظن انه كان يوجد هناك نوع من العشاق . مستبعد جدا ان يطلو الحب للناس تحت ذلك المطر الوغد ، الذى لا شك في انه كليل ياطفأ اشد العواطف انتقادا . وحتى لو وجدت تلك العاطفة التى تصمد لذلك المطر لدواعى المحافظة على البقاء سوف تحتم على العاشق رفع شمسية فوقه رفوق معشوقته . وليست اظن انه موجود في لندن - بالرغم من كل ما فيها من التقاليع - ذلك العاشق الذى يطيب له ان يحب بيد واحدة !

مثل هذا التهور العاطفى قد كان يمكن ان يكون مفهوما لو لم تكن هناك اتوبيسات او قطارات لها سقف تظل الحب من المطر . اما مع وجود تلك التسهيلات العصرية فليس ثمة عاشقين مجنونين يختاران هايد بارك حيث يتحابان ويستحمان في وقت واحد . ولعل هذا هو السبب فيما قيل لى من انه كان لهايد بارك سور ازالوه في العهد الاخير . فلما لزوم ذلك السور بعد ان صارت لندن كلها هايد بارك !

اما ذهني انا فهو اليوم لا يتجه الى شىء عند ذكر تلك الحديقة الا الى اللون الاخضر عندما يكون اخضر . وتلك ميزة في حدائق لندن لا يشكر عليها بالطبع غير السماء التى لا تبرح تغسلها طول اليوم . فانت في حاجة الى ان ترى تلك الخضرة الزاهية لكن تعرف ان القول بان اشجارنا خضراء لا يعدو تعبيراً مجازيا ، تماما كقولك ان صحائرها - في الفترة الأخيرة على الاقل - مجاشرا ! الخضرة الخضراء في رقعات الحشائش الفسيحة المترامية الى مدى الشوق في تلك الحديقة الفذة التى تبلغ مصاحتها - صدق او

لاتصدق - ٦٤٠ فدانا انجليزيا اى انها اكبر من اى مركز عندما او بندر . ومن ثم وصفها السياسى البريطانى وليام بت بأنها رقة لندن . ذلك التعبير الذى لا ادري لماذا تصر كافة الموسوعات على تسجيله . وربما كان ذلك لانه - رغم بدايته الى درجة الابتذال - صادق كل الصدق .

فيلير هايد بارك وامثالها من الحدائق التى تزخر بها لندن كان الناس يفتنون هناك حتما . من بخان المصانع المحبوس تحت تلك الخيمة الكثيرة الداكنة من السحب الرابضة الى الابد فى سماء لندن ا

ومن جماع تلك الخضرة الخضراء وذلك الاتساع الرهيب فى تلك الحديقة الفضة ينشأ فى نفس المرء احساس لامفر منه بالضخامة والجلال . واحساس لامفر منه هو الاخر بالمعارة . ان يخيّل للآذن الموهبة انها تتميز فى حفيف الرياح الباردة عبر الحشائش وبين اغصان الشجر شيئا كالافين . لآلاف الارواح المتعسة التى طلعت ذات يوم فى كل قارة من القارات الخمس أمام بنادق المستعمرين المتعطشين للدماء . ولارواح كثير من الانجليز ايضا . ان كانت هايد بارك ذات يوم - كما تقول الكتب السياحية نفسها - ميدانا للمبارزة بين المافونيين من النبلاء . ومباعدة للسفاحين وقاطعى الطريق . ومصبا للعنات الرهبان الذين كانت الحديقة مرفوفة عليهم حتى انتزعها هنرى الثامن ضمن ما انتزع منهم بقصد تطع دابرههم . غير ان الملكة كارولين - زوجة جورج الثالث - ما لبثت كما يحكون ان طهرتها وحولتها من غابة الى حديقة . فى الاثناء التى كان زوجها مشغولا فيها بقمع الثورة الامريكية توطئة لان يجن

لكك مهما قلت لا يمكنك ان تتخلص - حتى عندما يهطل المطر الوضيع - من ذلك الاحساس بالضخامة والجلال . وبالحرية المسرفة عندما يحل الظلام وتزفرق حولك عصافير الليل الساهرة ا

## لا لون للحب

لايد أنك قرأت كثيرا عن السفاحين اولاد الكلب . الذين ابجروا ذات يوم من موانىء بريطانيا والبرتغال وغيرهما الى شواطئ امريكا . وذلك لممارسة اوسخ تحارة يمكن ان يمارسها الانسان وهى تجارة الانسان نفسه . بقوة السلاح الحديث يصيدون السود العزل مثلما تصيد الارانب البرية او الغزلان . وهى قاع السفينة يكسبونهم كالخنازير . فى رحلة طويلة الى المستعمرات فى الأمريكتين . فى خلالها يموت منهم بالممرض والجوع من يموت . وبالرصاص يموت من يخطر له ان يثور . وهناك فى تلك المستعمرات يسمونهم مالالات الحبة اللارمة لاستغلال المزرعة . تماما مثل ما فيها من البقر والحاموس . ولغة معا يدلت على مشاعة تلك الحرفة ان احد اولئك القراصنة - وهذا انجليزى عمد فى ذات غارة على اولئك السود النعساء الى قتل عدة الاف منهم فى سبيل ان يصطاد اربعمائة لاغير

ساورتتى تلك الخواطر وانا جالس فى مترو لندن . وغير بعيد منى منظر يحتاج المرء الى كثير من الجهد لكي يصدق انه يراه . منظر تلك اليد البيضاء للشباب الانجليزى وقد استنكت فى حمار باليد السوداء لصاحبه الافريقية المعصمة . وبين حين واخر يتضاغط البدان فى محبة زائدة . فى اجمل صورة بالابيض والاسود للاعنصرية الكاملة والتضامن الاقرو ادينى

فلا شك ان شيئا لا يقل عن المعجزة قد وقع جنى جعل من الممكن ان ينحدر هذا الشاب الانسانى الرقيق من صلب ذلك

السفاح المجرم ابن ستين كلب ! ما هو ذلك الشيء لا أدري ولكنه قد حدث ، ومن الابتذال بالطبع ان اقول ان هذا الشاب لا يفعل شيئا سوى التكفير عن ذنب الاجداد

وكانت هناك في عينه نظرة متجاهلة لمن يجلسون حوله ولا تخطر من لمسة من الحمدي ، اذ يعلم ان ليس كل من يرون هذا المنظر يباركونه من قلوبهم ، لاسيما تلك الشلة الجالسة هناك والمكونة فيما يبدو من سياح امريكان ، وهو في الوقت نفسه يعرض شخصه لتهمة القصور ، وانه لو لم تنبذه البنات البيض لما رضى لنفسه بتلك الصديقة السوداء ! لكنه يقول للناس بتلك النظرة المتحدية ان الامر لا يهمهم بالمرة ، وان حر في اختيار صديقته ، وان يؤمن بالمساواة بين كل البشر ، وبالاختصار كله طظ فيكم

وفي عين البنت نظرة سعيدة وشبح ابتسامة يتلاعب على زاوية فمها لا يخلو للأسف من شبهة مراة صامتة ، فهي بدورها مقرا ما يدور في ادغة الناس حولهما ، من انها حين ضمت ذلك الشاب الابيض اليها قد سرقتة من اهلك واخذت فيه شيئا اكبر مما تستحق

احبت الاثنين من قلبي وتمنيت لهما اطيب الارفات ، ونذكرت كلمة كنت قد كتبتها ذات يوم عن التهجين ، وعن مدى عناء الانسان الذي يعمل على تحسين كافة السلالات ، ما عدا سلالة الخاصة ، غير مكترث بعبر التاريخ التي تشير الى انه ما من حضارة كبيرة قامت الا على اثر هجرات متعددة واختلاط بين عدد من الشعوب ادى الى ظهور تلك الحضارة الجديدة

وتضاعفت اليدان من حديد في حنان لازلداد حبي لهما ، ولذلك - او بالرغم من ذلك - تمنيت لهما ان يتزوجا وينجبا طفلا ، فليست اشك في انه سوف يكون أجرد وامتن من أي طفل يولد اوروبيا او افريقيا خالصا ، دعه من ان لونه سيكون حميلا جدا ، أم تراك سوف تجادلني في جمال لون القهوة باللبن !

### العسكري الحزين

لست ادري لماذا يخيل الي ان عسكري البوليس الاممباري ليس سعيدا في حياته ، لاشك ان للمطر اللندني الوضع اتره في ذلك ، اذ يلوح منه المدينون بالبيوت والبارات ويضطر هو ان يشرب كله في عرض الطريق ، لكنه بدا لي غير سعيد حتى في الساعات المادية التي تطلع فيها الشمس او تغد بالطلوع ، ثمة مطرة حمرة في عينيته توحي بصرامة أكثر مما يستلزمه اجراء بوليس عادي مثل ذرع الرصيف بتلك الخطوات البطيئة الواسعة

ولربما كان السبب في تلك الجهامة انهم يصرون هناك على اختيار عساكرهم طولا ممشوقى القوام يميلون الى الوسامة فرجل بهذه الصفات قد يعانى شيئا من المرارة المبررة بسبب طول الوقت بان مكانه الطبيعي ليس الرصيف وإنما شاشة السينما ، وان عمله الطبيعي ليس مطاردة اللصوص وإنما مطاردة الحسان وهناك احتمال كبير لان تكون من اسباب تعاسته تلك الخوذة المضحكة التي يضعونها فوق راسه مثل سلطانية مقلوبة ، والتي لا يمكن ان تكون لها اية فائدة في غير اوقات المظاهرات المعادية لامريكا ، كما انه من الممكن ان يكون ينظرونه هو السبب ، باتساعه الشديد الذي يجعله اشبه بمنظرون على ساقى دمية في فتريفة للعب الاطفال

نعم هو ذلك المنظرون في اغلب الظن ، التهمة على هذا المنظرون ، لالسبب هذا الاتساع وحده وانما بسبب ما يخيل الي من انه - على عكس منظونات الناس جميعا - ليس له جيوب ، حقا اننى لا استطيع ان اقطع بذلك بسبب طول الجانكة ، ولكن اذا كان لمنظرون العسكري جيوب فلماذا لم ار يده موضوعة في جيبه مرة واحدة ؟ لماذا صمغ ظني فلاشك ان هذا المنظرون يصمم نوعا من



التعذيب ، كلما هم العسكينة بأن يدخل يده في جيبه فيجد أنها قد دخلت في لاسي .

ولقد خطر لي أن استوثق من الأمر بنفسى ، بأن اقترب منه وارفع ليل حاكته في هدوء باحثا عن الجيب ، لكننى قلت لنفسى أنه في الدالب لن يرحب بهذا القدر الزائد من الفضول السياحى بل انه لن يرحب بمجرد سؤالى اياه ان كان له جيب أم لا ، استنادا الى ماوصفت لك من نظراته الحجرية الكارهة للحياة فكيف يرحب بهذا السؤال الشخصى وهو كما دلتى التحيرة لايرحب بسؤالى اياه اين يوجد الشارع كذا ؟ نعم هو يجيبنى دائما على هذا النوع الأخير من الاسئلة . ولكنه وهو يفعل يبدو من أمره أنه يكرهنى ويكره الزمن الذى أرغمه على اجابتنى . اصبعه التى يشير بها الى الخريق يرمى فيما يبدو ان يسبها في عبنى ، ولهفته لهجة رجل لايرشدنى بقدر مايشتمنى

أكاد اسمعه - وهو يرشدنى الى المكان المطلوب - يقول - تعشى كده على ماول مشيت مطك ' ونعشى الشارع الهى تطس بعربية ! وتكسر يعنى جك كسر دماغ ' تلاقبه فى وشك انلى بقطع الحميرة م الميت !

#### لماذا الحرس ؟

ربما كنت أما السائح الوحيد الذى لم يذهب الى قصر بكنجهام لكنى يتفرح على تغيير الحرس الملكى من ناحية لان الدنيا كانت تعطر كلما خطر لي أن اذهب ، ومن ناحية اخرى لاسى فى داخلى عير موافق على الفكرة كلها . ففى اعتقادى ان الملك الامجلىرى وفقا لصورته العصرية لا يحتاج الى أى نوع من الحراسة ، حيث ان احدا لايمكن أن يخطر له أن يقتل الملك فى وجود رئيس الوزراء ، وهذا يتأكد بالطبع اذا كان ذلك الملك ملكة ، فليس ثمة من يفكر فى قتل الملكة عبر سجنين هارب من المستشفى . وفى مواجهة مثل هذا الحظر لاظن ان الملكة تحتاج الى اكثر من بواب للقصر وكلف وولف ، اما كل هذا العدد من الحراس بملابسهم

المزركشة وقبعاتهم المضحكة فنوع من الاسراف الذى لامناسبة له فى موجة التدهور التى يتعرض لها الاسترلىسى ولكن القصر الملكى يصرف قنعا يبدو ان يظل قصرا امبراطوريا حتى بدون امبراطورية . وهو اصوار لايفترق كثيرا عن اصرار بريس مصرى سباق على ان يكون لسيارته سائق بليس اليونيفورم والكاسكيت ، يعطيه ماميته فى اول الشهر ثم يبدأ فى اقتراضها منه من يوم خمسة !

نعم فى نفقات لامبرر لها بالمرة ، ويكون احكم لو وجهت لتحسين حال بعض المواطنين المساكين . مثل الرجل الذى يلق على باب محطة ميدان راسل وقد علق على صدره لافتة تقول للمبصرين انه اعمى ! او للرجل الاخر الذى اقبله كل صباح فى شارع ستراند . طويل اللحية رث الثياب يتوكأ على عكازين يحملانه بسرعة عريية الى مهمة مجهولة لايمكن بالطبع ان تكون الفرجة على تغيير الحرس !

## زبيبة على السلم

فرحة صبيانية تعمروني كلما وضعت قدمي على بداية السلم المعدني المتحرك الذي يوصل بين أرض السحطة وانفاق المترو - والذي ينزلني من الى اسفل في سرعة معتدلة تسمح لي بأن اخرج من جيبي علبة الزبيب الذي بالشوكولاتة ، ومن العلبة وباصبعين رشيقتين ألتقط زبيبة اذف بها الى فمي ، ماضفا اياها بالكريماء المناسبة لرجل متحضر ينزل الى جوف الارض دور ان يبذل من ناحيته اي مجهود عضلي

غير انني لاحظت ان تلك السرعة المعتدلة التي تتميز بها حركة السلم قد روعيت من اجل اكل الزبيب الذي بالشوكولاتة فحسب ، بل من اجل اناحة الفرصة للرجل المتحرك لكي يقرأ كافة الاعلامات المتعلقة على الحائط بجانبه في براويز زجاجية حميلة ، والتي تسعد معه الى نهاية السلم محدثة اياه عن انسب الاحذية له واصلاح السوتيانات لزوجته جذابة جدا . تلك الاعلامات ولامتة تنتظر ، ومريحة للعين في بعض الاحيان انهم قد ركبوها على الحائط في البداية ثم صنعوا السلم لكي يحاذيها ، اللهم الا اذا كانوا قد وضعوها نصب أعينهم وهم يضعون الخطوط الاولى في مشروع قطارات الانفاق

ومهما كان من امر فهي متعة لاشك فيها ، متعة احساسك - حيث تنزلق - بانك تعيش في عصر الآلة التي تتولى هناك كل العمل ، وأن مازج تلك المتعة بالنسبة للشرقي مثلي احساس مزعج بأنه متطفل على تلك الآلة التي يعجز عن صنعها - بل انه فيما يبدو يعجز عن تشغيلها اذا هو اشتراها جاهزة ، بدليل السلم المتحرك

الذي ركبناه منذ سنوات في محطة الرمل بالاسكندرية ، والذي اشتغل موسما صيفيا واحدا ثم انتفض لغير ما سبب واضح ومات

وذلك في مقابل مالا يمكن ان يقل عن الف مليون من هذا النوع في لندن ، تعمل طول النهار ومعظم الليل دون ان تتعب ابدا ، مرة واحدة رابت في منتصف الليل سلما كتب عليه انه عطلان ، وفي الصباح الباكر ذهبت فوجدته قد عاد يشتغل كالحصان فيبدو انهم في قيامهم بتلك الاصلاحات الطارئة لايحتاجون الى الحصول على توقيع من الملكة !

فاذا تفاضينا عن هذه المتعة الميكانيكية فهناك متعة اخرى تنتظرك على الدوام حيث تنزلق على ذلك السلم متعة الفرجة على مئات الوجوه التي تقابلك على السلم الآخر الذي يصعد باصحابها من تحت الى فوق ، وجها بعد وجه تمر بك مثل لقطات متوالية في فيلم سينمائي ومن النوع المضحك بالطبع ، لاني في تلك الوجوه ترى كافة حنسيات كوكب الارض ، وترى كافة التعبيرات عن كافة النوبات النفسية التي يمكن ان تعترض الانسان من الفرحه الضاحكة على وجه سائحة أمريكية آتت يومين لتلهو ، الى الياس القتال على وجه مهاجر باكستاني او بابائي حمل امنته وقطع كل المسافة من اسيا الى لندن لكي يكتشف انه لن يجد هناك عملا والعمل القاتل في وجه موظف الف ان ينزلق بنفس الصورة مرتين في اليوم منذ ثلاثين عاما ، والصرامة الصارمة في عين عملاق زنجي وفد الى العاصمة البريطانية وقد عقد العزم على ان يغزوها غزوا

وبالطبع جميع مقاسات الشعر على رموس الشبان لندن كانوا او سياحا ، الى الكتف يتهدل الشعر في بعض الاحيان اذا كان ناعما ، او يرتفع الى اعلى ويكون فوق رأس صاحبه ما يوشك ان يحولها من رأس سلب الى رأس عبد ! وما من سلم يخلو بالطبع من

قبلة ملتزمة بين شباب ولقاء ما نؤلا عليه - السلم - او طلعاً الا  
استجابة لعناء الفرويدي البحث

لكن السلم لا يلبث للأسف أن ينتهي وتضطر الى معاودة تلك  
العادة البدائية المزعجة - عادة تحريك السائقين عند السير على  
الأرض الثابتة ، وهناك في الاتفاق تنتظر متعة أخرى لاتخلو من  
طراحتها الخاصة ، متعة الفرجة على عشرات السياح الواقفين امام  
خرائط المترو في حالة من البلاهة الكاملة والتوهان العام - فلتك  
الخرائط بالنسبة للغرب لا تزيد على كونها لغزاً للكلمات المتقاطعة ،  
وبلغة احنية ايضا ! وانت قد تنجح في حل اللغز وقد تفشل ، ولن  
تصدقني اذا قلت لك أن نصف الأماكن التي زرتها في لندن قد  
وصلت اليها لمجرد أنني كنت ذاهباً - بعد استشارة الخريطة - الى  
أماكن أخرى !

ثمة متعة ثالثة تنتظر في جوف القطار ذاته ، ذلك الاحساس  
بانك لست في قطار مقرر ما أنت في اجتماع للأمم المتحدة ! هناك  
حيث تجلس بين ذلك ، الهندى ، الاسطيرى العادى بثيابه الرسمية  
العتيقة ، وبين عملاق اسود بذكرك بمحمد على كلاى ، وهندى ذى  
عمامة بيضاء تتناقض عن عمد مع مكسوكته المشدبة السوداء ،  
وانثى من اعماق افريقيا بثيابها الوطنية المزركشة في جراءة نادرة ،  
ولقى فرنسى كث الشعر والسوالف يضع حذاه على المقعد  
المقابل في وقاحة لاتينية مرعجة ، وابطالى يحكى لصاحبه وبأعلى  
صوته نكتاً يبدو من طريقة ضحك الفتاة أنها بذية ، غير الالمان  
والاسبان والصينيين والروس ، والناطقين بالانجليزية الذين وفدوا  
من امريكا وكندا واستراليا ، ومن اقاليم بريطانيا مثل اهل الريف  
في توافدهم على القاهرة في مولد السيدة ، كل الألوان تراها وكل  
اللغات تسمعها ، اذا استطعت بالطبع أن ترتفع بمستوى بصرك  
عن ذلك الميكروجوب الجالس امامك !

وتلك القطارات بالطبع نعمة من نعم الله على الانجليز في دقائق

تنقلهم من اول البلد لآخرها ، تاركة الاتوبيسات للذين ليس وراهم  
حاجة - ولذلك مارست في لندن متعة أخرى لم امارسها في القاهرة  
منذ الحرب العالمية ، متعة الركوب في الاتوبيس جالسا ، وهذه  
الاتفاق والقطارات قد تم تشييد الجانب الرئيسى منها - صدق او  
لا تصدق - قبل بداية هذا القرن ، اى قبل أن يعرف الثرام طريقه  
الى ما فوق أرض القاهرة ! فهو - كما ترى - سباق رهيب فيما بين  
حضارة العرب الصناعية ، سباق لن نستطيع أن نحاربه مالم  
متخفف من كافة ركائزها القديمة ونركض بكل قواها الى ما كدنا نلحق  
بعصر البخار حتى سبقونا الى عصر الكهرباء ، وما كدنا ندخل  
النور حتى وثقوا الى عصر الذرة ، معذرة اذا سمعتمنى اتهد وأنا  
امضغ هذه الزبينة التى امت الاتهم العربية ان ياكلوها ! لا مكسوة  
بالشوكولاتة ، انما قطعة قوى وشرف النبس ، تأخذ لك ربيبة !

### البطة وأنا

على دكة على شاطئ القنال الصغير في الضاحية اللندنية  
المسماة بفينيس الصغيرة ، جلست ارقب بطة جميلة طافية على  
سطح الماء ، باسمها لها في حياى سبب ذلك الشعور العميق باننى  
اعرفها ، وبأننى القيت لها ذات يوم لقمة سميط في جزيرة الشاى  
بالقاهرة فشكرتني بقولها كاك

فعندما يقترب الشتاء سوف ترتد لحظة ثم لاتبرح ان تيسط  
جناحيها الصغيرتين الممركتين وتطير عبر المائش تحلق لا أخذت  
فيرة ولا باسور ، وعبر مزارع الكروم في فرنسا ، عسى ان تقف  
لحظة لتستريح فوق طرطوفة برج ابلل ووقفة أخرى فوق جبال  
الالب ، متلفتة حولها تبحث عن جزيرة الشاى ، ثم عبر البحر  
الابيض فوق الاسطول السادس ، ارجو ان تسقط على كتف أحد  
الكباش علامة صغيرة ترقبه لرجة

اما حالياً فهى نصيف مثلى في لندن ، وهى عينها السوداء



البراقة في رأسها المنقبش الذي إلغوى نحوى رأيت نظرة تكدت  
منها انها هي الاخرى قد عرفتني وقربد ان تصالني اين لقمة  
السميط . فهي بالطبع لاتعرف ان هذه الاشياء غير موحودة في  
لندن . وان هذا الشرف الغذائى لا يوجد في غير اسواق القاهرة  
ولقد كنت لاجلس ساعة اتاجيها لولا الظروف . التي تدخلت  
لتقطع جلستى واننى اعتقد انك قد عرفتني من نفسك . وهي ذلك  
الزاد الذي بدأ يتساقط معلنا ان السحب قد شربت من الماء اكثر  
من اللازم . فنشرت العظلة فوق رأسى وواصلت العلو في عناء .  
وتذكرت ما قرأته في كتيب سياحى على ان الشاعر براوننج كان  
يقوم في مكان ما على التروعة فلربما يكون قد جلس على هذه الدكة  
وتأجى مثلى جدة لهذه البطة . ثم قطع خواطره عطر كهذا المطر  
فملا نفسه بالمرارة التي تفيض بها اكثر من قصيدة له انا شخصيا  
لو اقمعت هنا عاما كاملا لاتنتهى امرى ككاتب فكافة . ولبدأت اكثف  
اشياء يتحول ازامها شوبينهر نفسه الى كبير العتقاتين  
وهزت بطنى دينها وجدفت بساقيها بسرعة لتحتسى هذا أو هناك  
من ذلك الاسبال السماوى . وبينما تبتعد التفتت وراءها محوى  
وسمعتها تسدى . قالت قائلتي بعد سهريل في حيرة التدى  
ولعت ثامية الى البراء لتقول لى وماتمسان السميطة .

## لماذا كان الانجليزى باردا ؟

الامطار الوضيعة تنهمر على دماغى وليس معنى مظلة .  
ومبنى وبين الفندق نحو مائتى متر يجب ان اقطعها على قدمي  
بدأت بالطبع بمشية سريعة إلا انها وقور . وابتسامة فلسفية  
توهم الآخرين بأننى اكبر من تلك الظواهر الطبيعية السخيفة .  
لحير اننى مع بدء تساقط القطط والكلاب رأيت ان السير السريع  
يجب ان يتحول الى حنجلة . تلك الحنجلة التي ما مرحت بدورها  
ان تحوات إلى حرى صريح بكل قوتي وملعون ابو الوقار !  
وبينما أجرى اسب والعن مستخدما كل ما عندي من الفاظ  
بذية اعرف ان احدا لم يفهم منها شيئا  
نكر الحرى لم يمنعنى من الفلسفة . ان ومضى في دهمى ذلك .  
الخاطر الحسنى عن السبب الذي من لعله كان الرجل  
الانجليزى ابرد من غيره بعض الشيء . وهذا السبب هو ان  
الرجل الانجليزى قد وجد لزاما عليه ان يحتار بين امرين : اما  
ان يكون باردا واما ان يجن . فلو انه سمح لاعصابه بأن تتور  
كلما هطل المطر . ولو انه راح متى بسب ويلعن فسوف تتحول  
حياته الى حالة من الردح المتواصل . وسوف تنعكس هذه  
الحالة العصبية على سلوكه العام بما يهدده بفقد كافة  
اصدقائه . وربما انتهى الامر بفصله من العمل وعودته الى  
البيت لكى يجد ان زوجته قد اخذت العيال وطفشت  
امسك اعصاك يا جورج ! اعدا يا جون ! خليك باردا يا وليام  
هكذا يقول الرجل الانجليزى لنفسه طول الوقت . جبلا بعد جبل  
وهو يعمرى تحت تلك الامطار اللعينة حتى تحول انتطبع الى طبع

ونشأ هذا الرجل الذي اضطر الى ان يكون باردا . ولذلك يقول الذين يعرفون الاستراليين انهم ليسوا باردين مثل اجدادهم الانجليز . ولا شك ان الانجليز المعاصرين سافروا الى استراليا وقضى بعض الوقت هناك لبدأ بتغيير تدريجيا . مثل حلزونة صغيرة تشعر بحرارة الشمس لتمد رأسها وتخرج من قوقعتها شيئا فشيئا يذيب الدفء تلوذ نفسه ويزيل جهامته ويجعله مرحا مثل القنفذ الذي يتقافز حوله في الشمس المشرقة . وفي هذا الانهمك للفلسفي وأنا أجري نسيت ان اتخذ ذلك الاحتياط اللازم بما يناسب الموقف . وهو ان ألف في الجريدة رغبة العيش الذي كنت قد اشتريته لزوم الغداء . وهناك في الفندق تسين لي انني أحمل بدلا من الرغبة كتلة من الدقيق المعجون بماء المطر . اكلة لاتصلح لكائن سوى البيط أو القراخ . وللأسف لم يكن في الفندق أريز . والا لاضفت بعضا منه الى الرغبة واكلته فنة !

#### فقر في لندن !

على رصيف شارع أوكسفورد غير بعيد من محلات سلفردج ٥٧ مليون جنيه . رايت لمة كبيرة فاتحضرت فيها لاعرف سرها بين ميكروحيين عاديين . وهناك رايت رجلا انجليزيا قد وضع على الارض صندوقا كبيرا مفتوحا . ومنه يخرج زجاجات عطر صغيرة يتنادى عليها بما معناه

- سلفردج يبيعهما باتنين جنيه ! لكن انا موش ح اقول اتنين .. ولا حتى جنيه .. ولا نص جنيه .. ربع جنيه بس .. ربع جنيه القزازه يابلاش .. يالله يا جدهان مثل الخواجة ! هذا الرجل دليل ناطق على ان الفقر مازال موجودا في عاصمة الامبراطورية السابقة . فلو ان هذا الرجل لم يكن فقيرا فلماذا لم يفتح له محلا مثل سلفردج بدلا من ان يكتفى بمناسته بهذه الطريقة البدائية ؟

ولهذا السبب - لانه فقير - تجمع حوله كل اولئك الناس وغابت في الجيوب والحقائب عشرات الايدي تبحث عن ارباع الجنيه . من الذي لا يخف الى نجدة هذا الرجل التمس الذي لا يوجد أدنى شك في ان اولاده على شفا الموت من سوء التغذية ان لم يكونوا قد ماتوا فعلا ؟

فلو كان معي مايسمح لي بهذا الترف الخيري لاشتريت منه زجاجة او اثنين ولا الحوجة لسلفردج . ولكن اسي لي في لندن بالعملة التي تسمح بشراء الكولونيا التي حتى في القاهرة لا اشترىها إلا اذا تعدت حرارة الولد المريض ٤٦ وشرطتين ؟ فاكثفت بان اتنهد وانصرف . وعند محطة الاوتوبيس وقفت اتصفح الجريدة التي ايدت تلك الحكاية الخطيرة عن وجود الفقر في بلاد الانجليز . فلقد اجرت احدى الهيئات بحثا في أحد اقاليم بريطانيا . ومنه تبين ان سبعين في المائة من سكان ذلك الاقليم التمس يعيشون في حالة فقر مدقع . فمعظم العائلات هناك - ياكبدى عليها - لا تربح اكثر من عشرة جنيهات في الاسبوع الكامل !

خير يعزق بالطبع نياط القلب . فإذا صح هذا الكلام فماذا اذن كانت فائدة كل تلك للقرن من قتل الهنود والسود والبيض في أربعة اركان الارض ؟ اهذه نهاية كل هذا التعب - ان بعض الاسرات البريطانية مازالت تبيع في الاسبوع مبلغا لايزيد على الذي تربحه اسرات البلاد المتهوبة في الشهر وربما في العام ؟!

#### لا سن للياس

شبان ينشران في ضوارع لندن كالوباء . الحمام الذي لا يجد من يأكله . والعجائز الانجليزيات اللواتي لا يجدن من يلعبن في البيت ! لا يمكن لك ان تتعطف في طريق إلا وترطم بعجوز مقبلة من وراء الناصية . ولا يمكن ان يخطر لك الجلوس

على دكة في حديقة أو شارع إلا وتجده عجوزا قد سبقتك إليها هي ترفض الاعتراف - العجوز الانجليزية - بأنها قد راحت عليها . تموت ولا تقول يا لله حسن القتام ! وهي فيما يبدو تلفق عشرات الاسباب التي تبرر خروجها من البيت ، مثل رغبة عيش تدعى انهم في حاجة اليه ، زاعمة أن حفيدها لا يستطيع ان يموت عنها في ذلك لانه - يا ضنايا - قد بحساب في هذا البرد بالزكام . فاذا تصادق ان كان البيت في غير حاجة الى شيء فهناك كلبها الصغير الذي يجب ان تخرج به لكي تقسمه ، غير مكرمة بما يتساقط من رذاذ يهدد بان يكون مطرا . باسمعة في سعادة كلما اضطرت الى ان تتوقف - منقادة للعزير - عند هذه الشجرة أو تلك

وهي في تلك المشاوير تحب ان تكون انيقة على طريقيتها الخاصة . وكافة ورود الحديقة رايتها في فستان واحدة منهم على خلفية من الخيش الاخضر . وعلى رأسها قبعة اشبه بسلة لثاكنة . ومن السلة تنبعث وبشة سرفتها من ذيل طاووس

وفي آخر الشارع زمجر صوت موتوسيكل هاجم نحوي كالومض المحنوق . فوثبت على الرصيف وأنا العن جنون السرعة المسيطر على شباب اليوم . ثم اقترب الموتوسيكل مني ورايت راكبة فاذا به لاشباب اليوم ولايجزئون ، بل هي عجوز بنت ستين أو خمسين على الأقل

وفي المرات يدخلن ليشربن البيرة شيوا بعد شوب . صاحكات ماصوات حشنة عالية تطفئ على اصوات ارحال لم يسمعن فيما يبدو بتعبير . من اليأس ، الذي يطفئه نحن على الأسرى حسرتك عن الحبيب مصرات على الا بلقين حررا نيل بعير شيء من روعة العدة على شفاها

العواحين من الخشب الانجليزى لايقول عن عذار المساء

عنادا وتشبثا مستعينا في الحياة . وخذ على سبيل المثال ذلك الرجل الذي رايته في احد المشارب مقوم الظهر حتى ليوشك ان يلامس يانفه وكتفيه وعلى ساقيه المرتعدتين بشدة يحمل ما لايمكن ان يقل عن ثعابين عاما سار نحو البار يتحلم وينتفض . واكاد اسمع لعظامه صريرا . وطلب من عاملة البار بصوته الاهتم شيئا لم تقهه لأول مرة . فاستعادت عدة مرات قبل ان تدرك انه يطلب شفاطة في استهوار مطوت ليه ثم قدمت له الشفاطة التي تناولها بيد ترتعد مثل ذراعها وصل ساقيه . وبالشفاطة عاد يتخلع ويكركب متجها الى مائدة رايت فوقها كوبا من البيرة لا أدري ما الذي اوصله الى هناك . ثم جلس الوجد ويده المرتعشة راح ينشئ بالشفاطة نحو الكوب حتى نجح في ان يضعها في الشراب . ثم مال الى الامام وأطبق بشفتيه وهات ياشفط !

هي قطعا طريقة غير تقليدية لشرب البيرة ولكنها كانت الطريقة الوحيدة المتاحة له . فبتلك اليد المهزوزة ما كان الرجل ليظفر من كوب البيرة بأكثر من جرعة صغيرة وبالي الكوب على هدومه

آخر عناد وآخر اصرار على كل من الحياة والبيرة . ليس غير انموت وحده يستطيع ان يحدد القامت وان يحرمه من كوبه المحبوب . فلو اشتد عليه المرض حتى الزمه الفراش فما اظنه يقطع عن الشراب . وهناك في السرير مرتعد عاجز اهتم ، ما اشك في انه سوف يصرخ فيمن حوله مطالبا اياهم بزجاجة البيرة وبزارة



## انظر ... يمينك

من رأى أن الرجل لا يمكنه أن يقول - صادقا - أنه قد فهم مدينة لندن حق الفهم ، مالم يكن قد شرع من تلقاء نفسه في الالتفات جهة اليمين كلما هم بعبور الطريق ، ذلك الرأي الذي اذا سلمنا بصحته فيبدو اننى سأغادر لندن وكأننا يابدر لارحنا ولاجينا ! إذ سمعت منذ قليل بالنزول عن الرصيف فرأيت على أرض الطريق كلمات كبيرة بالخط العريض الابيض تقول لى انظر يمينك فنظرت الى يمينى لى ارى اجمل سائقين تبرزان فى اجرا صورة من القصر ميكروجوب ، الامر الذى جعلنى اشعر بالاعجاب الشديد ببلدية لندن التى امكنها ان تنبهنى الى المنظر بهذا التوقيت الدقيق ، ومواصلا نظرتى اليمينية فزلت عن الرصيف لى اسمع فرملة حادة لسيارة مقبلة ، فقفزت الى الخلف وقد تذكرت فجأة ان البلدية لم يكن عندها اية فكرة عن ذلك الميكروجوب عندما امرتنى بأن انظر الى يمينى ، وانما كانت تعرف ان سائقا مغفلا مثلى سوف يعاثر عبور الطريق من هذه النقطة ، تاسيا ان السيارات فى لندن - على عكس السيارات فى البلد التى وفد عنها ايا كانت - تسير على يسار الطريق لا على يمينه .

زغرة حادة من السائق قابلتها بالذلة المناسبة لجلالتي ، ثم سررت فى حال من الغيظ المتزايد من اولئك الناس يصرون - بخلاف العالم اجمع - على أن يسيروا على الشمال . فلماذا بحق الشيطان يفعلون ذلك ؟ هل يريدون أن يشبثوا للناس - مثلا - انهم من طبقة نفيسة خاصة ، وان شينا فى الحضارة

البريطانية قد نجح فى تخليصهم من تلك العادة التى توشك أن تكون غريبة فى الجنس البشرى - عادة السير على اليمين !! مستبعد طبعاً أن يكون هذا هو السبب ، ومن السخف أن احسم الامر بقولى بأن عقلهم مركب شمال . ولذلك انتهزت فرصة وجودى فى احد التاكسيات والقيت بالسؤال الى السائق الذى يحتمل أن يكون عنده الجواب ، فتنحى الرجل وشرع فى الاجابة بلهجة تدل على انه قد سمع ذلك السؤال وسمعه حتى سمعه الى درجة الموت . وكانت اجابته مكونة من مجموعة فريدة حقا من حروف الراء والسين تصاندها حروف أخرى ، غير انها للأسف لاحتوى على أى كلمة من الكلمات التى مروت على فى أى من الكتب الانجليزية التى قرأتها . فشكرته متظاهرا بالفهم وغادرت التاكسي وأنا أشد جهلا بالسبب الذى من احله يسيرون على اليمين ، دعه من السبب فى ان الانجليز لا يعرفون الانجليزية

وفرملة شديدة أخرى وأنا اهم بعبور الطريق ، فوافه ما اعرف كيف اتيج لى ان اجتاز هذين الشهورين دون أن ادهس فربما كان الامر راجعا الى ذلك السبب البسيط : ان أزمة زيت القرامل القاهرية لم تصل بعد الى لندن !  
الكنيسة الخالية

تعبت من السير فجلست على اول دكة صادفتنى ، ومرة أخرى شكرت لندن على اهتمامها براحة الناس ممثلة هنا فى تلك الدكن المنتشرة فى شوارع البلد ولاسيما فى ضواحيها . وكانت الدكة بالمصادفة غير بعيدة من باب كنيسة ، وبالمصادفة ايضا كان الوقت صباح يوم الأحد ، تلك المصادفات التى رحبت بها على أمل ان اتفرج على مواكب الاتقياء الداخلين الى الكنيسة او الخارجين منها ، خاصة وانه لا مقر من أن يكون بينهم عدد من التقيات اللواتى يسرنى ان اقيس - بالنظر طبعاً - اطوال فساتينهن لى

أخذ فكرة صحيحة عن العلاقة بين طول فستان البنث وبين درجة تقواها ، وعن الوضع الحقيقي للعبيد والميكروجوب في فلسفة الكنيسة البريطانية الحديثة .

لكنني للأسف لم أر أي شيء . نصف ساعة كامل مضى هناك وما من تقى دخل الكنيسة أو تقية خرجت منها . كان هذه الكنيسة ليست كنيسة وكان اليوم ليس يوم أحد . وقسيس ضئيل الجسم برز عند الباب وراح يتلفت حوله . أحمر الوجه وديع السمات وفي نظرائه معنى من الشعور بالاحباط . هنا وهناك يتلفت حتى استقر بصره على ، ومدى لحظة خيل إلى أنني رايت في عيني نظرة مناشدة . فخطر لي أن أجبر بخاطره وانهض للصلاة ، لكنني تذكرت أنني سوف أخطيء لامحالة في أداء الطقوس ، فيكتشف الرجل أمرى ويظن أنني أرمي إلى السخرية منه . وياكون بذلك قد أسأت إليه وأنا الذي مارميت إلا إلى الاحسان . فاشحت بوجهي وتشاغلته عنه بالتطلع إلى السماء ، والشئ الوحيد الذي وجدته هناك هو كتلة ضخمة من السحب الرمادية المندرة بالمطر .

فنهضت وابتعدت وأنا أرثي لذلك القسيس المسكين ، متذكرا ما قرأته ذات يوم من أن أحد القساوسة قد الحق بكنيسة فرقة من موسيقى الجاز على أمل أن تغري الشباب بالحضور إلى الكنيسة حيث يجمعون بين متعة الصلاة والرقص . تلك التجربة التي أميل إلى الظن بأنها قد فشلت بسبب مالا بد أن الشباب قد عانوه من الحرج وهم يرقصون تحت تمثال المسيح المصلوب .

فلاشك أنها محنة يعانيتها رجال الدين في إنجلترا القرن العشرين . حيث زال أثر اللابرار والمتطهرين الذين كانوا يقتلون الرجل بسبب أصغر شبهة توحى بأنه ليس متطهرا مثلهم . فإذا استمرت الأمور تسير في هذا الاتجاه فلن استبعد أن يأتي يوم تعدو فيه الكنيسة الانجليزية حذو سائر المؤسسات هناك . وذلك بأن تقلل أبوابها في أيام الأحد .

### انتي مختلفة

عيتان خضراوان مثل معظم عيون الاناث في لندن ، في وجه ابيض وسط شعر أصفر مثل معظم الوجوه والشعور هناك ، ومع ذلك خيل إلى أنني أرى فيهما شيئا مختلفا عما أرى في عيون سائر الاناث . فهذه الانثى على غير المألوف رقيقة النظرات عذبتها ، تنظر إلى الدنيا بدون أن تزغر لها ، ولمسة خفيفة من التهييب لما حولها من الناس في عربة المترو .

فإذا التفتت هنا أو هناك فهي تلتفت ببطء واثابة ، لحظة عابرة يستقر بصرها على الشئ ثم يرتد عنه بسرعة . شاعرة لسبب ما أنه ليس من حقها إطالة النظر إلى الاشياء . إذا افترضنا أن لها حق النظر أصلا . إذا كانت انجليزية أو أوروبية عموما فلا بد أنها قد واجهت في طفولتها قدرا أكبر من المألوف من الكبت . الأمر الذي يوحى بأن أباه أو أمها - أو كليهما - من غلاة المحافظين أو حتى من المتطهرين .

وبدا القطار يهده من سرعتة ونهض من الناس من ينوي النزول في المحطة التالية . وبينهم شاب اسمر شرقى السمات مد يدا ربت بها على كتف الفتاة لينبئها إلى ضرورة النهوض قائلا بالعربية .

### القط والجرس

صوت رنين خالت لجرس صغير يشخل في الحديقة الخلفية للفندق وهو لسبب ما يصل إلى أذني من جهات مختلفة ، مرة من هنا ومرة من هناك . فنهضت ونظرت من النافذة حيث رايت قطا - أو قطة لا أدري - يتقافز في الحديقة كعادة القطط مطاردا شيئا ما . ومن تتقل صوت الجرس مع حركة القط بدا أنه مرتبط به بطريقة ما ، الأمر الذي ثبت لي عندما تبينت بتدقيق النظر أن هناك جرسا صغيرا يتدلى من عنقه ويشخل معه كلما قط هنا أو هناك .



وبسؤال البنت التي تأتي لتنظيف الحجرة عن الغرض من ذلك الجرس قالت انه يرجع الى مشاعر الرحمة التي يزرعها صدر صاحبة البيت ، اذ كرهت ان تتعرض عصافير الحديقة للخطر من قطعها فركبت في عنقه ذلك الجرس الذي ينبه العصافير وسائر الكائنات اللطيفة الى ذلك الخطر المقرب ، واما من ناحية القط فهو ليس محتاجا الى اكل العصافير بسبب ما يشهد به شحمه الكثير على وفرة ما يعطى له من الوان الغذاء داخل البيت .

كلام معقول وعاطفة تشكر عليها تلك السيدة قطعاً ، وان كنت اعتقد ان الحاجة تدعو بشدة الى تعليق جرس آخر في عنق كائن آخر هو العنق الشخصي للسيدة ، فبمثل هذا الجرس كانت تفكر مرتين قبل ان تتسلل الى الحجرة لكي تضع بعض الماء بدلا من الجرعة التي نالتها من زجاجة الويسكي التي اهداني اياها احد الاصدقاء لزوم الدفء في العاصفة الباردة !

## يوم الحشر في بيروت

لا فرق في بيروت بين ان يكون عندك كاديلاك او لورد او فيات ، فليس ثمة فرق بين السيارات ما دامت كلها واقفة ، هي تمشي - سيارات بيروت - مترا وتقف ، ثم مترا آخر وتقف ، وهكذا طول الوقت في حال من الزحام الذي لا اذكر انني عانيته قبل ذلك في غير الكوابيس ! وعسكري المرور واقف وسط كل هذا الزحام ينفخ في صفارته بدون اي مناسبة واضحة ، فليس غير النفخ في الصور يكفي لحل تلك الازمة المرورية التي هي صورة مصغرة ليوم الحشر ! ..

لذلك ما تكاد احدى السيارات تفلت هنا او هناك من عنق الزجاجة المسدود حتى تندفع كالصاروخ الموجه احيانا ، وغير الموجه دائما ، فرجة السائق بالخلاص تجعله اشبه بحيوان فتح له باب القفص بعد حبس طويل ، فانطلق يجري بغير ما هدف سوى ان يجري ويجري

ولعل هذا هو السبب في كثرة السيارات في بيروت ، ان صاحب السيارة لا يبرح ان يزهد منها فيبيعها باى ثمن لمجرد ان يتخلص منها ، والمالك الجديد للسيارة يصنع بها نفس الشيء ، ولعله لا يجد لها مستويا فيتركها هنا او هناك ويعود الى بيته عاشيا !

فلو انني اشرع القوانين في بيروت لاضفت الى العقوبات التقليدية هذه العقوبة البيروتية الجديدة ، قيادة السيارة من الواحدة الى الثالثة بعد ظهر كل يوم !

ويبدو ان ، الحشر ، سمة عامة للحياة في بيروت ، وخذ على سبيل المثال هذه القصة !



استأجر رجل شقة ذات بلكونة تطل على قطعة من الأرض  
الفضاء . وفي ذات يوم رأى عددا من الفنيين والعمال يلبسون  
تلك الأرض ويعدون العدة لبنائها . وبدأ البناء يرتفع شيئا  
فشيئا . وفوجيء الرجل بحائط من الاسمنت المسلح يسد  
المشعر أمام بلكونته . لا على بعد متر أو اثنين وإنما على بعد  
سنتيمتر واحد من بلكونته !

لماذا لو عني وقت لكتبت عن موقف ذلك الساكن قصة عن  
نوع قصص كافكا . أحاول فيها أن أعبر عن شعور انسان  
معاصر وهو يرى بلكونته - في خليط من الظروف الاقتصادية  
والاجتماعية والسياسية - تتحول من بلكونة الى حجرة !  
شيء كهذا لو حكى لي لما صدقته . وكان لزاما على ان  
أحضر الى بيروت لكي أخذ هذه الفكرة عن يوم الحشر !  
رجل محشور

ويبدو ان واحدا في بيروت لا يعترض على هذا الحشر . بل  
ان الجميع يرونه شيئا طبيعيا وسنة عادية للحياة . ففي سيارة  
السرفيس . - التي هي تاكسي بالنظر - جلس بجانبى في  
المقعد الخلفي رجل ما . وصديق له جلس في المقعد الامامي .  
وكنا محشورين في تلك السيارة المرسيديس المحشورة بين  
سائر السيارات في الشارع الضيق

وداح الرجلان يتحدثان بصوت مرتفع . ومن كلامهما فهمت  
انهما يفكران في شراء دكان يملكه شخص ثالث . لا لانه يريد  
ان يبيعه وإنما لانه مضطر لان يبيعه . أما لماذا هو مضطر لان  
يبيعه فهذا ما لسره احد المتحادثين بقول للآخر :

- انه . محشور . في الفين ليرة !

وبما انه محشور في ذلك المبلغ فأى شيء أسهل من ان  
يحشرا نفسيهما في الموقف ويتقدما لشراء الدكان منه بالتعنى  
الذي يناسب رجلا محشورا !

وهذه الظاهرة ليست غريبة في أى مجتمع يقوم على البيع  
والشراء . وإنما الغريب هو ان يتبادل الرجلان تلك القصة بذلك  
الصوت المرتفع وبهذه الصراحة التامة أمام سائر الاغراب  
الموجودين في السيارة . فهي بهذه الصورة فلسفة عامة لا  
اعتراض لاحد عليها . انه طالما وجد اناس ينحشرون لماكرام  
المحشور دونه !

### ومدينة محشورة

وذلك ان بيروت نفسها محشورة بين البحر والجبل . كل  
زيادة في سكانها يجب ان تستوعبها في داخلها دون أى قدرة  
على التمدد والانتشار . ولذلك بدأت المدينة . ترتفع . بدلا من  
ان تتسع . والاف الانوار تتلألأ في الليل من فوق الجبل . انوار  
الناس الذين اتاحت لهم ظروفهم الاقتصادية ان يرتفعوا . هناك  
يتاح لهم - الاقلية السعيدة - ان يتنفسوا الهواء الطلق . ناظرين  
في رثاء أو شماعة أو مزيج من الاثنين الى الاف التعساء  
المحشورين في المدينة الواطئة

### على شاطئ البحر

وحيث اننى محشور مثل صاحبنا الذى سيبيع دكانه . فقد  
كان لزاما على ان انحشر في ذلك الفندق الرخيص في وسط  
البلد . ولذلك فلن تجدنى فيه الا ساعة النوم . حيث ارتضى  
كالقتيل وسط احلام مزعجة عن الاف السيارات التي تحاصرني  
وتريد ان تدفسنى . وعن جدار من الاسمنت المسلح يرتفع

أمام نافذتى ويحجب عني النور والهواء

أما بالنهار فانا على شاطئ البحر . سائر على القدمين أو  
جالس في هذا الكازينو أو ذاك . والبحر هنا شديد الجمال .  
فمتى كان البحر في أى مكان غير شديد الجمال ؟ وهو في  
نظري - البحر وبرغم حركته التي لا تهدأ - عنصر الثبات الوحيد  
في هذه الدنيا . فالبحر هو البحر في كل مكان . دائما اذيق

اللون أو أخضرلا ، ودائما تنكسر امواجه بنفس الطريقة على الصخور المغطاة بالطحالب أو تنقرس على رمال الشاطئ الصفراء . صحيح ان في جوفه حروبا كثيرة وماس فاجعة بين الاف الانواع من الكائنات ، ولكنك لا ترى اى شيء من ذلك حين تنظر الى سطحه الازرق الهادئ

هنا فقط اشعر باننى غير محشور وماليت عندي من العال مايسمح لى بأن اقيم الى الابد في احد هذه الفنادق العملاقة التى تؤجر على كل نظرة الى البحر بليرة ا ولما كان الامر ليس كذلك ، ولما كان موعد قيام الطائرة قد حان فارجو ان تاذن لى بالتوجه الى المطار لكى انحشر في الطائرة التى ستحملنى اخر الامر الى القاهرة .. هل سمعتك تقول لى جندالله على السلامة ؟

## فهرس

### صفحة

٧	الساحر العظيم .....
١١	سكة سفر .....
١٤	ذكريات من اسوان .....
٢٨	الثاني المرح في الأقصر .....
٥٢	في سفينة نوح .....
٨٥	شارع السيقان الموسيقية .....
٩٠	في جحيم من القبل .....
٩٥	من الشحادة في لندن .....
٩٩	مصر في لندن .....
١٠٤	الفرق بين جورج وماي .....
١٠٩	ذوات العيون الحربية .....
١١٤	مطر .. وزينب .. وجنس .....
١١٨	عن القط البريطاني .....
١٢٣	من هايد بارك .....
١٢٧	لا لون للحب .....
١٢٨	زبينة على السلم .....
١٢٧	لماذا كان الانجليزى ياردا .....
١١٢	انظر بعينك .....
١١٧	يوم الحشر في بيروت .....